الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

التّفكير السّيميائي عند عبد الملك مرتاض

(مقاربة وصفيّة)

تخصص :الجهود اللّغوية والأدبية عند الجزائريين إبّان القرنين التّاسع عشر والعشرين

مذكّرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطّالبة — إشراف الدّكتور

سامية طواهريّة — محمّد الأمين خلاّدي

لجنة المناقشة

1_ أ. د/ طاهر مشري ، جامعة أدرار .....رئيساً

2_ د / محمّد الأمين خلاّدي ، جامعة أدرار ..... مشرفاً ومقرّراً

3_ أ. د/ يوسف وغليسي ، جامعة منتوري، قسنطينة .....مناقشاً

4_ د/ إدريس بن خويا ، جامعة أدرار.....مناقشاً

5_ د/ سعاد شاّبي ، جامعة أدرار.....مناقشاً

6_ د/ سليمان قوراري ، جامعة أدرار.....مناقشاً

1436_1435هـ/2014_2015 م

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (2) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا)

الفتح / 1_3

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، حمداً يوافي ما تزايد منها ، ويقابل ما فات ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد ، سيّد السّادات ، إمام الكلّ في الحضرات ، وعلى آله وصحبه والتّابعين الذين آمنوا وعملوا الصّالحات .

إهـــــداء

إلى روح جدّي الطّاهرة

عربون وفاء

إلى سماحة الوالد الكريم ، والوالدة الغالية

ثمرة جهدهما التي انتظراها طويلاً

إلى الأستاذ الدّكتور عبد الملك مرتاض

تثميناً لجهوده القديرة .

شكر وعرفان

أرفع أسمى معاني التقدير و الاحترام و العرفان

إلى مرشدي في دروب هذه الرحلة العلمية الوعرة

الأستاذ الدكتور محمّد الأمين خلاّدي

إلى الأستاذ الدّكتور عبد الملك مرتاض

على توجيهاته القيّمة التي أضاءت دروب هذا البحث

إلى الأستاذ الدّكتور الشّريف مريبعي

الذي قدّم الكثير لهذا العمل

إلى كل من ساهم في اكتمال صورة هذا الجهد

إلى أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة

على جهودهم في التّصويب والتقويم.

مقدمة

حظيت الّنظرية السّيميائية باهتمام متزايد، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، محدثة تحوّلاً فاصلاً بين الّنقد الحديث (ما قبل السّيميائي)، والنقد المعاصر (السّيميائي)، في عموم نماذجه؛ نظراً لاتساع حقلها المعرفي، وتجسيدها لما يطبع الفكر المعاصر من ميلٍ إلى التّركيب والموسوعية، والتقاطع المعرفي، وإثباتها قدرتها -كمفتاح معرفي، وأداة تحليلية طّيعة- على ولوج كل مجالات الدراسة والبحث والاستقصاء؛ لما تحوزه من قدرةٍ على الوصف والتفسير، وما توفره من إمكانات واسعة للفهم والتّحليل، دون أن يخرج المحلّل عن أصل وضعها، أو حدود جوهرها.

وانتقل هذا الاهتمام بالنظرية السّيميائية إلى السّاحة النقدية العربية، مغطّياً على سائر الاتجاهات النقدية -خلال الثمانينيات- من بوابة المغرب العربي، وكان للساحة النقدية الجزائرية حظّها من الإسهام في هذا المجال، على يد نخبة من المثقفين والنقاد والبحثة الجامعيين، وعلى رأسهم (عبد الملك مرتاض) رائد تأسيس المشهد الحداثي في الخطاب النقدي الجزائري.

من هنا، وانطلاقاً من أهمية الموضوع، وخصوبته وجدّته، والتوجه السيميائي العام للنقد الجزائري المعاصر، بالإضافة إلى عزوف القارئ والباحث العربي عموماً والجزائري خصوصاً عن الخوض في هذا الميدان؛ لمشقة استيعاب مفاهيمه، وفك رموزه ومصطلحاته واستساغة مفاهيمها؛ نظراً لشموليته المعرفية وتعدد اتجاهاته، وزخمه

المصطلحي، والواقع المتأزّم لتعريب المصطلح في العالم العربي، كان تفكيرنا في المساهمة في هذا الميدان –بما يتماشى مع الإطار العام لتخصّصنا، وميلنا– بمقاربة نموذج من النماذج التي أسست الدرس السيميائي في الجزائر، وهو (عبد الملك مرتاض)، وذلك بالنظر إلى الاتجاه العام الذي سلكه في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم الحضارية، فضلاً عن تجربته ومراسه مع الحداثة وأعلامها، وتنوع مدّونته النقدية السّيميائية.

إنّ نقطة الارتكاز الأساسية في هذا البحث تتمثل في استجلاء طبيعة التفكير السيميائي وخصائصه لدى (عبد الملك مرتاض)، من خلال مدونته النقدية السيميائية النظرية والتطبيقية، وموقعها من الدرس السّيميائي الجزائري؛ فما هي المؤثرات التي كانت من وراء جعل النقد الجزائري المعاصر سيميائياً في أغلب نماذجه، وما الاتجاهات السيميائية الرئيسية التي اعتمدها النقّاد الجزائريون؟ أين وصلت أبرز جهودهم النظرية والتطبيقية، وما محلّها من الدّرس السيميائي العربي؟ ما هي معوقات البحث السيميائي في الجزائر وما هي آفاقه؟ أين تتنزل جهود (عبد الملك مرتاض) السيميائية من النقد الجزائري المعاصر؟ وما هي مصادر تكوينه المعرفي والسيميائي؟ حول ماذا ارتكزت جهوده السيميائية التنظيرية، وما طبيعة المنهج في أعماله السيميائية التطبيقية؟ ما هي

خصائص التحليل السيميائي عنده عموماً ، ثم من خلال النماذج الثلاثة المدروسة خصوصاً ؟

إنّ الُمطّلع على المكتبة النقدية الجزائرية المعاصرة، يلاحظ ندرة المراجع التي تتناول الممارسة السيميائية للنقدة الجزائريين، بما فيهم (عبد الملك مرتاض)، إلاّ خلال صفحات قليلة، ومقتطفات مجتزئة هنا وهناك، ولم أعثر إلاّ على دراسة واحدة، تحمل عنوان: (واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري) (2006)، وهي مذكرة ماجستير للباحث (هامل بن عيسى)، وباعتبارها دراسة وحيدة –حسب اطّلاعنا– تظل غير كافية لاستجلاء أمر الممارسة السيميائية في الجزائر عموماً ، ثم إن مرتكز بحثه هذا يتصف بالعموم، ويخالف ما اعتمدناه كمحور أساس في بحثنا، وهو التفكير السيميائي عند (عبد الملك مرتاض)، ولم يكن الخوض في الممارسة السيميائية في الجزائر عموماً –في بحثنا– إلاّ من باب منهجي يقتضي النظرة الشمولية لأعمال (عبد الملك مرتاض) وعدم فصلها عن الواقع الذي بزغت منه وتنتمي إليه، لتستقيم لنا مقارنتها مع الأعمال السيميائية الجزائرية أو حتى العربية الموازية لها.

أّما ما يتعلّق بالدراسات التي تناولت أعمال (عبد الملك مرتاض)، السابقة لبحثنا –حسب اطلاعنا– فتتمثّل في رسالة ماجستير لـ(علي خفيف) موسومة بـ (التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض)، (1995)، وهي دراسة عامة في تجربة الناقد، ودراسة الباحث

(يوسف وغليسي) الموسومة بـ (الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض "بحث في المنهج وإشكاليته") (2002)، والكتاب نظري، يتناول منهجه النقدي بشكل عام، فيما تختص هذه الدراسة بالتّركيز على المنهج السيميائي في أعماله النظرية والتطبيقية، دون فصلها عن تركيبتها المنهجية العامة. وكذا دراسة الباحث (حبيب مونسي) المعنونة بـ (فعل القراءة (النشأة والتحول) "مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة، عبر أعمال عبد الملك مرتاض") (2002)، يدرس فيه صاحبه آليات القراءة، وتجليات المصطلح عند (مرتاض)، ورؤيته النقدية الخاصة، وكيف تعامل مع النص الأدبي شعره ونثره. والكتاب يتناول قراءة (عبد الملك مرتاض) النقدية بشكل عام. بالإضافة إلى دراسة الباحث (مولاي علي بوخاتم) المعنونة بـ (الدرس السيميائي المغاربي "دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح") (2005)، وهي دراسة مقارنة حول الّدرس السيميائي عند ناقدين،اعتمدا المنهج المركّب في تحليل النصوص، تناولت المنهج والمصطلح عند كل منهما، ولم تركّز في أعمال مرتاض –من حيث القراءة أو التطبيق– إلاّ على كتاب واحد يدرس نص (أشجان يمانية)، ليبقى المجال مفتوحاً أمام الباحثين للدراسة، أمام الزخم الذي تشكله أعمال (مرتاض) النقدية عموماً، والسيميائية خصوصاً .إذن يأتي هذا البحث كإضافة للجهود السابقة القليلة، التي توخّت الكشف عن أبجديات العملية النقدية لدى (عبد الملك مرتاض)، تحاول تغطية جوانب منها لم تكشف بعدُ، كما تسعى إلى جمع ما

تفرق –في الكتب والمقالات خاصة–، من حقائق عن الدرس السّيميائي في الجزائر، ثم تصنيفها.

وقد استعّنا للوصول إلى ذلك بتركيبة منهجية تقوم على الوصف أساساً، ثم الإحصاء والمقارنة بالدرجة الثانية. أما المنهج الوصفي، فقد اعتمدناه لتحديد خصائص وملامح التّفكير السّيميائي لدى (مرتاض)، من خلال التعّرف على الظروف والعوامل التي ساهمت في تكوينه، والمصادر المؤثرة في رسم معالم مساره النقدي، ثم مسح أعماله السّيميائية، وتصنيفها، ورصد المتغّيرات والثوابت فيما يتعلّق بالمنهج النقدي لديه، وعزل عينة منها للدراسة والاستكشاف –وهي الكتب الثلاثة المدروسة في الجانب التطبيقي– ثم تعميم ما يصحّ تعميمه من النتائج –التي تمثل خصائص التفكير السيميائي لديه– على سائر مدوناته السيميائية. والأمر نفسه بالنسبة لخصائص الدرس السيميائي في الجزائر، في دراسة عوامل شيوعه، واتجاهاته المعتمده، وخصائصه انطلاقاً من بعض الأعمال التي تّم عرضها.

وقد راعينا أن تتنّوع المدّونة النقدية المدروسة في الجانب التطبيقي بين القرآن و الشعر والنثر، فأما ما يمثل القرآن، فهو كتابه (نظام الخطاب القرآني) والذي يعتبر المحاولة الوحيدة من الناقد _ على حدّ اطلاعي _ لتحليل الظاهرة القرآنية، بتحديث الإجراءات، و الإفادة من النظريات النقدية الغربية لتعميق الرؤية . وأّما ما يمثل الشّعر،

فقد اخترنا كتابه (ألف_ياء) لاستخراج خصائص الدراسة السيميائية لديه؛ باعتباره نقلة نوعية للتأسيس الفعلي للاتجاهين السيميائي والتفكيكي، التمسنا فيه نوعاً من الغِنى والخصوبة في التحليل، واستيفائه لمعايير الدّراسة التي ينهجها الناقد. وأّما ما يمثّل النثر، فهو كتابه (تحليل الخطاب السّردي) الذي تّم اختياره نظراً لأن الناقد كان قد تجاوز مرحلة التأسيس الأولى في كتابه (ألف ليلة وليلة) ، وترسّخت معالم التحليل السيميائي للخطاب السّردي لديه من جهة، و نظراً لاستيفاء التحليل فيه أغلب عناصر النصّ من جهة أخرى.

وبخصوص المنهج الإحصائي، فقد كان يتخلل الوصف ويساير بعض جوانبه، مثل إحصاء الأعمال النقدية السيميائية لدى (مرتاض)، ثم تصنيفها، كما المقارنة التي استلزمها ربط الدرس السيميائي عند مرتاض، بما يناظره من أعمال مشابهة أو مباينة له في المنهج أو غيره، والمقارنة بين منهجه النقدي في أعماله السيميائية نفسها، الشعرية والنثرية، وكذا مقابلة الدرس السيميائي في الجزائر، بنظيره في العالم العربي، لمعرفة درجة التطّور التي وصل إليها.

ورأينا أن يتوزّع بحث هذا الموضوع حول ثلاثة فصول، مستهلّة بمدخل يحدد مضامين مصطلحات العنوان، أما الأول فيخصّ النّظرية السّيميائية وتطبيقاتها في القرن العشرين، وينقسم بدوره إلى مبحثين، يتعلق الأول بأصولها ومبادئها، وأهم اتجاهاتها،

وإجراءاتها النقدية، ويعالج الثاني تمثّل العرب لها، بداية من إرهاصاتها الأولى في النقد العربي القديم، ووصولاً إلى تجلّياتها في الأعمال النقدية العربية الحديثة، المغربية والمشرقية.

وأّما الثاني، فيتعلّق بالتفكير السّيميائي في الجزائر وتطبيقاته، وتتقاسمه مباحث أربعة: بدايات الدرس السيميائي في الجزائر ورّواده، المؤثرات التي كانت وراء تبّنيه، أهم المدارس السيميائية المعتمدة، وأبرز جهود السيميائيين الجزائريين الّنظرية والإجرائية.

وأّما الثالث، فهو منوط بالجهود السيميائية عند (عبد الملك مرتاض)، ويتوزعه مبحثان، يعنى الأول بحياة الناقد العلمية وتكوينه المعرفي ومصادره السيميائية، ثم بإبراز جهوده على مستوى التّنظير، من خلال كتبه الّنظرية، ومنهجه، وجهوده في تعريب المصطلح، ويهتم الثّاني بالتحليل السّيميائي لديه، وخصائصه في الّنص والخطاب، ويتفرع إلى فروع ثلاثة: خصائص دراسته للخطاب القرآني من خلال كتابه (نظام الخطاب القرآني)، وتحليله للخطاب الشعري اعتماداً على كتابه (أين ليلاي؟) ، والخطاب السّردي انطلاقاً من مُؤلّفه (تحليل الخطاب السردي).

وقد اعتمدنا في حصر هذه الجوانب على مجموعة من المصادر والمراجع أهّمها: المدّونات النقدية السيميائية لعبد الملك مرتاض، و(الخطاب الّنقدي عند عبد الملك مرتاض) للباحث (يوسف وغليسي)، و(الدرس السيميائي المغاربي) للباحث (مولاي علي

بوخاتم)، و(تلقي السّرديات في النقد المغاربي) للباحثة (سليمة لوكام)، ومجموعة لا بأس بها من المقالات المنشورة بالمجلاّت، إضافة إلى الحوارات التي أُجْرِيَتْ مع بعض أقطاب البحث السيميائي بالجزائر، وتواصلنا مع الناقد (عبد الملك مرتاض) نفسه.

وكان من أهم الصعوبات التي تلقّيناها أثناء البحث، ندرة المعلومات المتعلّقة بالدّرس السّيميائي بالجزائر، إلاّ ما تفرق في ثنايا بعض المقالات، كون الموضوع مايزال حديثاً، وكذا انعدام كتب الرّواد السّيميائيين الجزائريين في المكتبات، وحتى في معارض الكتب، بعد نفاذ الشيء القليل الذي طُبع منها، وعدم استحداث دور الطّبع نُسخاً جديدة، وذلك ما أخذ وقتاً معتبراً في البحث عنها.

ولسنا نزعم الكمال لهذا العمل المتواضع، فما هو إلاّ مجهود بشري قابل للنقد، يعتريه ما يعتري أعمال البشر من نقص، والذي نطمع أن يُسَدّ بالملاحظات والمناقشات التي ترأب ثأيه، وتصوّب أَوَدُه.

المدخـــــــل

(قراءة في منظومة المصطلح

ومدونـــــة المفهـــوم)

لقد بات من الواضح أن كل مصطلح لا يدرك إلا من خلال موقعه داخل تصور نظري، يمنحه مشروعية الوجود والاشتغال، وذلك ما يجعل تحديد دلالة المصطلحات الموظفة في صياغة العنوان خطوة رئيسة، بحصر مجال التّصورات المناطة بالمفاهيم، اعتماداً على المنظومة الاصطلاحية اللغوية الأدبية، والنقدية، درءًا للالتباس، وتحوطاً لسلامة الإبلاغ، في ظل فوضى المصطلح، وأزمته المتصاعدة.

ويتركب العنوان: (التفكير السّيميائي عند عبد الملك (مقاربة وصفية)) من شقين، ثابت ومتحول. أما الثابت فهو العبارة: (التفكير السيميائي)، والتفكير من الفعل فَكَرَ وتَفَكَّرَ وأَفْكَرَ، فهو فِكّير كسكّيت؛ أي كثير الفِكْر، والفِكْر: إعمال النظر في الشيء، وتقابله البديهة والارتجال[1].

وفي الاصطلاح، يعرف التَّفْكِير(réflexion) على أنه: "أسلوب لبناء الإنسان معارف على أساس معارف أخرى، وبناء تصوّرات عن الواقع (مخطّطات ومفاهيم)" [2]. فالتفّكير من أكثر العمليات المعرفية رقّياً، ومن أشدها تعقيداً. إنه عنصر أساسي في البناء العقلي المعرفي الذي يمتلكه الإنسان، وهو تدفق من الأفكار تحركه أو تستثيره

---

[1] ينظر الفيروزبادي: القاموس المحيط، (ط3)؛ 1351هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت – لبنان، ج2، مادة (الفكر). وكذا: أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، (ط2)؛ 2001، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ص313.

[2] فاديم روزين: التفكير والإبداع، تر: نزار عيون السود، (د.ط)، 2011، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق–سورية، ص484.

مشكلة أو مسألة تتطلب الحل، يقود إلى دراسة المعطيات وتقليبها وتفحصها، بقصد التحقّ ق من صحتها، ومعرفة القوانين التي تتحكم بها، والآليات التي تعمل بموجبها[1].

وكما يتنوع التفكير –كنشاط عقلي– بالنظر إلى آلياته وخصائصه، فيتفرع إلى أنواع كثيرة كالتفكير النقدي، والتفكير الاستنباطي، والتفكير الاستقرائي، والتفكير الإبداعي، فإنه يختلف أيضا بحسب الصنف من العلم الذي يضاف إليه، فهناك تفكير رياضي، وتفكير فلسفي، وتفكير لساني، وتفكير دلالي، وتفكير بلاغي، وتفكير سيميائي...إلخ.

والتفكير السيميائي –الذي هو مناط بحثنا– نسبة إلى السيميائيات، جاء في لسان العرب: " السُّوْمَةُ والسِّيَمَةُ والسِّيماءُ والسِّيْمياءُ: العلامةُ. وسَوَّمَ الفرسَ: جعل عليه السِّيَمَةَ ، تقول: عليهِ سيما حسنة؛ أي علامة، وهي مأخوذة من وَسَمْتُ أَسِم، والأصل في سِيما: وِسْمى، فحولت من موضع الفاء ووضعت في موضع العين، فصارت: سِوْمى، وجُعِلَتِ الواو ياًء لسكونها وانكسار ما قبلها" [2].

والواقع أن الأصل اللغوي لمصطلح: سيميائيات (sèmiotique) إغريقي؛ إذ يتكون من الجذرين (séméion)، ويعني إشارة أو علامة، ويقابله بالفرنسية (signe)،

---

[1] ينظر: أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، (د.رط)، منشورات عويدات بيروت، مج 2، ص 1191.

[2] ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون،(د.رط)، (د.ت)، دار المعارف، القاهرة، مج 3، ج 24، مادة (سَوَم) _ بتصرف .

و(logos)، ويعني العلم، ويقابله بالفرنسية اللاحقة (tique). وبدمج الجذرين نتحصل على علم العلامات[1].

وفي تعريف السِّمة (العلامة) يقول (أمبرتو إيكو) أنها: "شيء ُمدرك يمكن أن نستخلص منها توقعات واستنتاجات وإشارات خاصة بشيء آخر غائب ومرتبط به" [2]، فالشيء المدرك –على سبيل التمثيل– هو السّحاب الدّاكن الذي يواري صفحة السماء، وهو الحاضر، وأما ما يستخلص منه، فهو الغيث الوشيك الهطول، وهو الغائب، فالسحاب الداكن هنا: سمة[3]. وبهذا الاعتبار، تكون السّمة أو العلامة هي المادة الأساس التي تستعملها كل الكائنات في التواصل[4].

وإذا كان مفهوم السِّمة هو دلالة شيء حاضر على آخر غائب؛ فإن السيميائيات هي: "النظام العلمي للعلامات؛ أي النظام الذي ينظر في طبيعة العلامات، وكيف يقوم العقل بفهم الأشياء، أو شرح ما تعنيه للآخرين" [5].

---

[1] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، (ط1)، 1431هـ–2010م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت–لبنان، ص11–12.

[2] أمبرتو إيكو: العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، تر: سعيد بن كراد، (ط2)؛ 2010م، المركز الثقافي العربي، المغرب–الدار البيضاء، ص46.

[3] عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، (ط2)؛ 2010م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص150–151.

[4] أمبرتو إيكو، المرجع السابق، ص44.

[5] برونوين ماتن وفليزيتاس رينجهام: معجم مصطلحات السيميوطيقا، تر: عابد خزندار، (ط1)؛ 2008م، المركز القومي للترجمة، ص9.

ولا بأس أن نعرض –فيما يلي– أشهر التعريفات للسيميائيات باختصار، على أساس أنها معروفة ومتداولة في الكتب. والبداية تكون مع (دي سوسير)، الذي بشَّر بهذا العلم الجديد قائلا: "نستطيع إذن أن نتصور علماً يدرس حياة الّرموز والّدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي (...) ونطلق عليه مصطلح علم الدلالة[*] (sèmiologie) (...) وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها أنواع الدلالات والمعاني، كما يهدينا إلى القوانين التي تضبط تلك الّدلالات" [1].

وفي حين يركز (دي سو سير)(F.de Saussure) على الوظيفة الاجتماعية للإشارةِ عنى الأمريكي (شارل سندرس بيرس)(C.S.Peirce) بالوظيفة المنطقية، وذلك ما يظهر في قوله:" ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية شبه ضرورية، أو نظرية شكلية للعلامات" [2] وقد عرفها كل من (تودوروف)(T.Todorov)، و(غريماس)(A.J.Greimas)، و(جوليا

[*] يترجمه رشيد بن مالك وآخرون بعلم العلامات أو السيميولوجيا.

[1] محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني،(د.رط)؛ 2008، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، ص31–32.

[2] آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد، والتاريخ)، تر: رشيد بن مالك، (ط1)، 1428هـ–2008م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ص31.

كريستيفا)(J.Kristeva)، و(جون دو بوا)(J.Dubois)، و(جوزيف راي دوبوف)(J.R.Dubov) على أنها العلم الذي يدرس العلامات[1].

ومن الدّارسين العرب يُ عرِّفها (سعيد بنكراد) على أنها "نظرية في المعنى، أو هي صيغة خاصة في تناول المعنى ومعالجة أشكال تجلياته، وهي استنادا إلى ذلك، طريقة في تحديد السُّبل المؤدية إلى إنتاج الدلالات وتداولها" [2]. أما (سعيد علوش)، فيرى أنها "دراسة لكل مظاهر الثقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة، كأنظمة علامات في الواقع" [3]. ولم يخرجا في تعريفهما عن المفهوم العام والمتداول للسيميائيات .

وتجدر الإشارة إلى التداخل الكبير الحاصل بين مصطلحي (السّيميائيات) (la sémiotique) و(السّيميولوجيا) (la sémiologie)، والملاحظ أن الإطلاقين يتفقان معاً في السابقة (sémio)، التي تعني(السمة) (le signe)، ثم يفترقان في أن الأول ينتهي

---

[1] عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر،(د.رط)؛ 2003، دار فرحة للنشر والتوزيع، (د.م)، ص16.

[2] المصطلح السيميائي (الأصل والامتداد)، www.saidbengrad.net

[3] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (ط1)؛ 1405هـ-1985م، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ص118.

بلاحقة (tique) التي تعني النسبة العالمة في جملة من المصطلحات الغربية، فيما ينتهي الثاني بلاحقة (logie) والذي هو في الأصل (logos) ويعني العلم[1].

والواقع أن مصطلح (السيميائيات) سليل الثقافة الأمريكية (لوك وبيرس خصوصا)، في حين يعود مفهوم السيميولوجيا إلى الثقافة الفرنسية (غريماس، بارث وكريستيفا). ويرتبط المفهوم الأول بالفلسفة والمنطق في حال، والتطبيقات الأدبية والسردية والثقافية في حال أخرى، فيما يرتبط المفهوم الثاني باللسانيات. على أن السيميائيات عادت، فتشعبت إلى لغوية ولسانياتية، ثم إلى أجناس أدبية وأشكال ثقافية مع احتفاظها بوضعها اللّساني[2].

ومما يعد كعلامة فارقة بينهما؛ عناية السيميائيات بإنتاج الدلالة وتحليلها، وتركيز السيميولوجيا على دراسة نظام السيماءات، في الحالة العملية مثل الشفرات[3].

وعليه فالمقصود بالتفكير السيميائي "كل عملية تأمل للدلالة أو فحص لأنماطها أو تفسير لكيفية اشتغالها، من حيث شكلها وبنيتها، أومن حيث إنتاجها واستعمالها" [4].

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص161.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص165.

[3] برونوين ماتن وفليزيتاس رينجهام: معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص167.

[4] عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب (من أجل تصور شامل)، (ط1)؛ 1431هـ-2010م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ص7.

وذلك ما سنبحث عن طبيعته في أعمال عبد الملك مرتاض بمقاربة وصفية، وهو الشّقّ المتحوّل.

والُمقَارَبَةُ مصدر قَارَبَ، تقول: قَرُبَ منه وإليه يَقْرُبُ قُرْبا وقُرْبانا وقِرْبانا: دنا، والقريب خلاف البعيد، والقُرْبُ يستعمل في الزمان والمكان والنسبة والحُظْوة والرعاية والقدرة، والأولان معنيان أصليان له. والتَّقْرِيبُ عند أهل النظر هو سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب[1]. أما اصطلاحاً ؛ فالمقاربة هي الطريقة التي يتناول بها الدارس أو الباحث الموضوع، أو الطريقة التي يتقدم بها في الشيء. ومقاربة النص؛ هي النظر فيه وتحليله لمعرفة أوجهه[2].

وتوصف المقاربة هنا بأنها وصفية، والوصف مصدر وَصَفَ، تقول: وَصَفْتُهُ وَصْفا صِفَةً ، وله أوصاف وصِفات، وقد اتَّصَفَ؛ أي صار منعوتاً متواصفاً [3]ويُعرَّف الوصف على أنه إخبار عن حقيقة الشيء، وذكر ما فيه من الأحوال والهيئات[4].

أّما اصطلاحاً فالمنهج الوصفي هو استقصاء ينصبّ على ظاهرة من الظّواهر كما هي قائمة في الحاضر، بقصد تشخيصها، وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين

---

[1] ينظر: بطرس البستاني: محيط المحيط؛ (ط؛ 1987)، مكتبة لبنان، بيروت، مادة (قُرُبَ).

[2] alirtikaa.mummygallery.com و www.almaany.com

[3] ينظر الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، (د.رط)، (د.ت)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ج2، مادة (وَصَفَ).

[4] أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص444.

عناصرها، أو بينها وبين ظواهر أخرى، وهو لا يقف عند حدود وصف الظاهرة، إنّما يذهب إلى أبعد من ذلك، فيحلّل ويفسّر ويقارن، بقصد الوصول إلى تقييمات ذات معنى للتبصّر بتلك الظاهرة[1].

وهذا ما نحن بصدده –في هذا البحث– من تشخيص خصائص التفكير السيميائي لدى (عبد الملك مرتاض) وكشف جوانبه، وتحليلها، ومقارنتها مع ما يقابلها لدى نقاد آخرين.

[1] رحيم يونس كرو العزاوي: مقدمة في منهج البحث العلمي، (ط1)؛ 2008، دار دجلة، عمان– الأردن، ص97.

الفصـــــل الأول

النظرية السيميائية وتطبيقاتها

1- النظرية السيميائية: (الأصول، المبادئ، الاتجاهات والأدوات النقدية)

1.1- أصولها ومبادئها:

أ- الأصول:

ليس التفكير حول العلامات ولادة معاصرة، فقد سبق أن ظهر من خلال تصورات ومفاهيم نظرية ناضجة، مختلطاً مع التفكير حول اللسان - لأهمية العلامات الكلامية في التواصل الإنساني - ونجد ذلك في الخطاب الفلسفي اليوناني، وفي ثنايا الفكر العربي القديم، وفلسفات القرون الوسطى الأوروبية وعصر النهضة. وسيكون من العبث إذن أن نرغب في البحث عن الأصل التاريخي للعلاماتية عند مؤلف بعينه[1]. ولذلك سنتوقف عند أبرز الركائز الغربية التي انبنى عليها التفكير السيميائي، على أن نتحدث عن الأصول العربية في مبحث آخر.

ومنذ البداية كان المنطلق فلسفياً مع الفكر اليوناني،حيث اهتم (أفلاطون) بالعلامات اللغوية وطابعها المحاكاتي وخاصيتها الاعتباطية، وانشغل (أرسطو) بهذه العلامات ضمن نظريته حول المعنى وحول الشّعر، كما ميز في كتابه (العبارة) بين

---

[1] جان ماري سشايفر: العلاماتية، مقال ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، ط1؛ 2004، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب-، ص14.

الكلام والأشياء والأفكار والكتابة، متفحصاً خصوصية كل منها وموضحا لطبيعة العلائق فيما بينها. وكلها انشغالات سيميائية[1].

وتجدر الإشارة إلى ما قدمه الّرواقيون (stoiciens)[*] في القرن الثالث (ق.م) من تصورات حول العلامة والأنساق الّدالة، في سياق نظريتهم حول القياس، وعلاقة حدود القضايا بالعالم الخارجي، ومن ذلك أسبقيتهم في الإشارة إلى أن للعلامة وجهين: (دال ومدلول)، وتعريفهم لها بأنها تلك العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تعَينها في العالم الخارجي. وهي اكتشافات ارتكزت عليها السيميائيات المعاصرة في انطلاقاتها الأولى[2].

كما أسهمت مدرسة الإسكندرية الفلسفية –في مرحلتها اليونانية والمسيحية معا – في استقصاء شامل للظاهرة اللغوية وأبعادها السيميائية، ومن ذلك ما قدمه قائدها الفكري، الفيلسوف (إينيديموس) (aenesidemus) في القرن الأول للميلاد من اكتشافات كقوله بوجود علامات مستترة[3].

---

[1] عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب (من أجل تصور شامل)، ص29.

[*] هم دعاة مدرسة فلسفية، انتشرت في إطار الثقافة اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، تحت تأثير الأفكار ذات الّنزعة الفردية، والتطورات التّقنية، وكان (زينون)(Zeno) و(كريسيبوس)(Chrysippus) أكبر الّدعاة البارزين للمدرسة. ويذهب الّرواقيون إلى أنّ الحياة يجب أن تعاش وفق الطّبيعة، وإلى أنّ السّعادة تقوم على البلادة أو التّحرر الانفعالي، وعلى سلام العقل و رباطة الجأش. Ar.wikipedia.org. 15/5/26

[2] ينظر آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)، ص: 26 وكذا: عبد الواحد المرابط: المكان نفسه.

[3] ينظر فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص22 وكذا عبد الواحد المرابط: المكان نفسه.

وقد قامت علاقات مهمة بين هذه المدرسة وبين دراسة الطب بفرعه (الإمبريقي)[*] حيث توصل الطبيب (جالينوس) (Galenus) في القرن الثالث الميلادي إلى التمييز بين العلامات العامة، التي تدل على أكثر من شيء، والعلامات الخاصة التي تدل على شيء محدد[1].

أما عنمرحلة العصور الوسطى، فتبرز جلياً جهود القدّيس الجزائري (سانت أوغستين) (saint–augustin) (354 –430) كونه أول من طرح السؤال: ماذا يعني أن نفسر ونؤول؟ ومنه توصل إلى تشكيل نظرية التأويل النصي وتأويل النصوص المقدسة خصوصا، كما ميز بين العلامات الطبيعية والعلامات التواضعية، وبين وظيفة العلامات عند الحيوانات ووظيفتها لدى البشر. مؤكدًا على إطار الاتصال والتواصل والتوصيل[2].

ويأتي عصر التّنوير الذي تشظّت فيه نظرية العلامات مع المفكرين الألمان والإنجليز، بداية من القرن السابع عشر. وتجدر الإشارة فيه إلى الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) (J.Locke) (1632– 1704م)، والذي يعد أول من استعمل مصطلح: "سيمياء" (Sèmiotic) بعد اليونان، عانياً به: العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط

---

[*] الأمبريقية (Empircism): توجه فلسفي يُؤمن أنّ كامل المعرفة الإنسانية تأتي عن طريق الحواس والتجربة والخبرة. وتفهم بالنقيض من الميتافيزيقّية (ماوراء الطّبيعة) .

[1] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص22.

[2] ينظر: آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)، ص 27. وكذا: جان ماري سشايفر: العلاماتية، ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص (نصوص مترجمة)، ص14.

التي يحصل من خلالها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتها، ويكمن هدف هذا العلم في الاهتمام بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل، بغية فهم الأشياء أونقل معرفته إلى الآخرين[1]. وقد تناول موضوع اللغة في الجزء الثالث من كتابه: (مقال في الفهم البشري)، حيث صاغ تصورات ترى "أننا لا نصل إلى الماهية الحقيقية أو الطبيعية القصوى للأشياء، وبالتالي فإننا نعطي لهذه الأشياء ماهية اسمية؛ أي علامات لغوية، اعتمادا على بعض خصائصها فقط"[2] وبهذا يكون (جون لوك)قد أشرع باباً واسعاً للسيمياء.

وتستمر المحطات التأسيسية للسيميائيات وصولاً إلى القرن الثامن عشر، وهي مرحلة ظهور الموسوعة والموسوعيين، وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني (ليبنتز) (leibnitz) (1646- 1716م)، الذي وضع تصورات سيميائية ناضجة، تطال المقتضيات الأخلاقية والوجودية والإبستمولوجية، والذي رسم في كتابه (فن التركيب) (Art De Combinatoria)مشروعا ضخماً لتأسيس المنطق الرمزي الحديث. وقد كان يرى أن لكل العلوم أصولاً جوهرية مشتركة، وأنه بالإمكان الوصول إلى توحيد جميع فروع المعرفة، من خلال تشكيل علامات تدل على هذه الأصول، وذلك ما جعله مقتنعا بوجود لغة كونية (رياضياتية)، يمكن أن يستعملها الجميع، تخضع لكتابة نمطيه، تتشكل من عدد قليل من العلامات، وتكون قادرة – بفضل قواعد توليفية معينة ومن خلال حساب

[1] آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)، ص27-28.

[2] عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص30.

جبري محدد – على تعيين جميع المفاهيم والتّصورات والأفكار الممكنة. وعليه يمكن توصيف سيميائيات (ليبنتز) بأنها عبارة عن التقاء مصطلحي بين التعبير والتمثيل والتواصل[1].

وإذا كانت التّصورات السيميائية القديمة متفرقة في مختلف المباحث الفلسفية والمنطقية واللغوية وغيرها، وبعد أن كانت كل علامة تُدرس في إطار مجالها الخاص وضمن العلم الذي يدرس هذا المجال، بعيدا عن سائر العلامات في المجالات الأخرى، أصبح ممكنا مع السيمياء الحديثة استجماع مختلف العلامات من مجالات متنوعة ضمن مبحث واحد عام يركز على الخصائص المشتركة بينها. وبهذا أخذت طابعا موسوعياً جعلها تكتسح جميع المجالات والعلوم[2].

وقد كانت بداية هذا التّطور المذكور مع الرائدين الفعليين للنظرية السيميائية: (شارلز ساندرس بيرس) (Ch.S.Peirce)[*] وعالم اللغة السويسري (دي سوسير)(F.de Saussure) (1857– 1913).

---

[1] ينظر: عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص30 وكذا: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص25.

[2] ينظر: عبد الواحد المرابط: المرجع السابق، ص31.

[*] سيميائي وفيلسوف أمريكي، ولد في كامبردج بولاية ماساشوستس الأمريكية، دَرس في جامعة هارفرد، يعد أحد كبار المجددين في منهجية البحث وفلسفة العلوم. وقد نشرت أعماله بعد وفاته في ثمانية مجلدات.

انطلق (بيرس)من الفلسفة الظاهراتية ليؤسس علماً شكلياً للعلامات، يكون عبارة عن منطق قائم على الملاحظة التجريبّية لخصائص العلامة. وتتخذ السيمياء عند (بيرس) طابعا شموليا، إذ لا نجد شيئا يخرج عن موضوعها مهما كان ، حيث يُبّين (بيرس) أنه لم يكن بإمكانه على الإطلاق أن يدرس أي شيء (رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، اقتصاد، تاريخ، علوم...)، إلا بوصفه دراسة علاماتية[1].

ويعتبر (بيرس) العلامة السيميائية أو (الممثل) (Représentament)كيانا ثلاثي الأبعاد: فهي شيء ينوب بالنسبة لشخص ما عن شيء معين بموجب علاقة ما أو بوجه من الوجوه؛ إنه يتوجه إلى شخص ما، أي يخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطوراً. وهذه العلامة التي يخلقها تسمى (مؤولاً) (Interprétant) للعلامة الأولى. هذه العلامة تنوب عن شيء ما وهو موضوعها (Objet). وهي لا تنوب عن هذا الموضوع تحت أية علاقة كانت، ولكن بالرجوع إلى فكرة تسمى (مرتكز الممثل) (Fondement du reprèsentamen)[2].

---

[1] جان ماري سشايفر: العلاماتية، ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، ص 15، وعبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب ، ص31.

[2] S.C.Peirce: Ecrits sur le signe, Paris , le seuil ,1978 , p121- نقلا عن: محمد الماكري: الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، (ط1)؛ 1991، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ص45.

ومما سبق، يتضح أن أداة التمثيل (العلامة) تستدعي موضوعا كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولاً كرابط بين العنصرين؛ أي ما يوفر (للممثل) إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الإبلاغية. وسلسلة الإحالات هذه هي ما يشكل –في نظرية بيرس– ما يطلق عليه (السّميوز)؛ أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، من خلال إقامة العلاقة السيميائية الرابطة بين(الممثل) و(الموضوع) عبر فعل التوسط الإلزامي الذي يقوم به (المؤول)[1].

والعلامات باعتبار ما تدل عليه –عند (بيرس)– ثلاثة أقسام: علامة أيقونية (Signe ionique)، علامة مؤشرية (Signe indiciaire)، وعلامة رمز (Signe symbolique).

فأما الأولى؛ فهي علامة تحيل على الموضوع الذي تعينه ببساطة بفضل الخصائص التي تمتلكها، سواء كان هذا الموضوع موجودا أم لا، شريطة أن تشبه موضوعها،وتكون مستعملة كعلامة عليه. ومثال ذلك جرة القلم التي تمثل خطا هندسيا[2].

---

[1] ينظر سعيد بنكراد: السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، (د.ط)؛ 2003، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء – المغرب، ص61.

[2] ينظر: محمد الماكري: ، الشكل والخطاب، ص47–48.

وأما الثانية؛ فهي علامة أو تمثيل يحيل على موضوعه، بموجب ارتباط واقعي مع هذا الموضوع من جهة، ومع ذاكرة الشخص الذي يوظفه كعلامة من جهة ثانية. ومثال ذلك النجم القطبي الذي يعد مؤشرا نوظفه لتحديد جهة الشمال[1].

أما الثالثة؛ فهي علامة تحيل على الموضوع الذي تعينه بموجب قانون، وفي العادة بموجب تلازمات أفكار عامة، تحدد مؤول الرمز بالإحالة على هذا الموضوع. ومثال ذلك أن كل خطاب يدل على ما يدل عليه لسبب وحيد، هو أننا نفهم أن له هذه الدلالة[2].

وللسيميولوجيا علاقة وثيقة بالنموذج اللغوي اللساني البنيوي، الذي أرسى دعائمه (دي سوسير)، وهو وإن لم تكن دراساته حول السيميولوجيا، إلا أنه أرسى قواعد أساسية تبناها كل السيميائيين بعده[3].

تنّبأ (سوسير) بولادة السّيميولوجيا مبكرا مع إدراجها في إطارها العلمي، في مقطع لغوي شهير له: "ونستطيع إذن أن نتصور علما يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي. وهذا العلم يشكل جزءا من علم النفس المجتمعي، ومن ثم يندرج في علم النفس العام، ونطلق عليه مصطلح (علم الدلالة) (Sémiologie)" [4]. كما تحدّث عن أهميتها قبل تحدّد معالمها قائلا:"وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص

---

[1] ينظر محمد الماكري: الشكل والخطاب ، ص51.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص51-52.

[3] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص40.

[4] محاضرات في علم اللسان العام، ص31-32.

بها أنواع الدلالات والمعاني، كما يهدينا إلى القوانين التي تضبط تلك الدلالات" [1]. ولم يفته أن يحدد العلاقة بين السّيميولوجيا واللّسانيات جاعلاً الثانية جزءً من الأولى، ومن ثمة تكون القوانين التي تكشف عنها السيميولوجيا، قابلة للتطبيق على اللسانيات[2].

اهتم (سوسير) بخاصة بالإشارات اللسانية، محدداً إيّاها على أنها (دال) و(مدلول) وبهذا الشّأن يقول:"نحن نطلق لفظ (الدلالة) أو (العلامة) على تركيب التصور[المدلول] واقترانه بالصورة السمعية [الدال]"[3] واعتبر أن المبحث الأول للسّيميولوجيا يجب أن يكون كل مجموعة المنظومات القائمة على اعتباطية الإشارة، ومن بينها الإشارات اللغوية، ويقول بهذا الصّدد: "يمكن القول بأنّ الدلالات الاعتباطية تحقق في جملتها المثل الأعلى في كل طريق ومذهب دلالي سيميولوجي (...) ومن أجل ذلك كان اللّسان -وهو أكثر تعقيدا وأوسع انتشاراً (...)- من بين هذه الأنماط الأشدّ تمايزاً "[4].

وبما أنّ مهمة السّيميولوجيا السّوسيرية هي الكشف عن كينونة الدلائل كيفما كانت، فالمنظومة اللغوية -لدى (سوسير)- هي التي تجعل الإشارات ذات معنى، وهذا المعنى يكمن في علاقتها مع بعضها البعض في المنظومة، يقول: "ولما كان اللسان نظاما،[فإن] جميع ألفاظه متماسكة الترابط، وكل قيمة (معنى) من قيم ألفاظه لا تصدر

---

[1] محاضرات في علم اللسان العام ، ص32.

[2] ينظر المصدر نفسه، ص 32.

[3] المصدر نفسه، ص105.

[4] المصدر نفسه، ص107.

ولا تنتج إلا بنوع من الحضور المتآني لسائر ألفاظه"[1] فالدليل –كما يتّضح–لا يُ فهم إلا داخل تصّور عام هو النظام، والذي يتضمن مفهوم الكل والعلاقة.

ب– مبادئها:

تعنى السّيميائية بنظرية الدّلالة وإجراءات التحليل التي تساعد على وصف أنظمة الدلالة، ويقوم مشروع تحليل الدلالة على بعض المسلمات، والمبادئ القاعدية، نأتي على ذكرها فيما يلي:

- **التحليل المحايث**

ويتحقق مبدأ (المحايثة)(Immanence) من خلال تجربة القراءة التي يستند فيها فهمنا للنص على مفصلة المضمون الشامل الذي نسعى إلى بنائه، بصرف النظر عن الاعتبارات الخارجة عن النص، أو الاعتبارات النحوية الخاصة بالتعبير[2]؛ والمحايثة بهذا المعنى هي: "عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به. فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالته في انفصاله عن أي شيء آخر" [3].

(1) محاضرات في علم اللسان العام ، ص170.

(2) ينظر: آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول القواعد والتاريخ)، ص230.

(3) سعيد بنكراد: www.saidbengrad.net

• **التحليل البنيوي**

يعد التحليل السّيميائي تحليلاً بنيويًا، لأن مشروعه يقوم حول اقتراح نماذج للاختلافات القائمة بين عناصر الدلالة: (كبير/ صغير، أعلى / أسفل،...) والتي على أساس إدراكها، يتم فهم المعنى في النص. حيث لا يمكن أن يتم تعيين عناصر الدلالة إلا بالاستناد إلى أشكال العلاقات (الاختلافات)، ولا يمكن أن تحدد قيمة العناصر الدلالية إلا في إطار البنية، فتدرك قيمة "الأعلى" في علاقتها "بالأسفل"، وقيمة "السهل" في علاقتها "بالجبل" وبنية المضمون –في نهاية الأمر– هي التي تساعد على منح قيمة لكل عنصر من عناصر الدلالة. وعليه يهتم التحلي ل السيميائي بتعيين الاختلافات بين العناصرلاًأو، ثم تحديد ما يحيل عليه الاختلاف، والقيمة التي ينتقيها للعناصر المميزة[1].

• **تحليل الخطاب**

إن التحليل السّيميائي هو جزء لا يتجزّأ من تحليل الخطاب، وهو يميز بين السيميائيات النصية وبين اللسانيات البنيوية الجملية. ذلك الثانية منهما تهتم بالجملة تركيباً وإنتاجاً – وهو ما يسمى "القدرة الجملية"– بينما تهتم السيميائيات ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص، وهو ما يسمى "بالقدرة الخطابية" [2]. وتقترح السيميائيات –لتحديد بنية

---

[1] ينظر: آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول القواعد والتاريخ)، ص230–231.

[2] ينظر: أحمد يوسف: تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، ع 12 أكتوبر 1997. http://www.nizwa.com

المضمون الشامل للنص- أن ينتظم ويوصف على أساس المستويات الآتية: المستوى المنطقي الدّلالي، السردي، الخطابي، مستوى التعبير (البنيات اللسانية والأسلوبية)، ومستوى المضمون[1].

2.1- اتجاهاتها وأدواتها النقدية:

أ- اتجاهاتها المعاصرة:

تعددت اتجاهات السيميائيات بتعدد المنطلقات الابستمولوجية لعلمائها واهتمامهم بالمظاهر المختلفة للعلامة، ويمكن تبين ثلاثة اتجاهات متميزة لها: سيمياء التواصل، سيمياء الدلالة، وسيمياء الثقافة.

- **سيمياء التواصل:**

انطلاقا من المرجعية السوسيرية، وجهود(بلومفيلد)(Bloomfield) في السلوك الإنساني، ونموذج (شانون)(Shannon) و(ويفر)(Weaver) لعملية الإخبار[*]، تولد اتجاه سيميائي تواصلي بريادة كل من (لويس بريتو)(L. Prieto)، (جورج مونان)(G.Mounin)،(جان مارتيني)(J.Martini) و(إيريك بويسانس)(I.Puissance)،

---

[1] ينظر: آن إينو وآخرون، السيميائية (الأصول القواعد والتاريخ)، ص 231.

[*] حدد كل من (شانون وويفر) من خلال هذا النموذج العناصر التي يقتضيها التواصل، فهناك أولا " مصدر للإخبار"، وهناك "إرسالية "ينتجها هذا المصدر، ثم هناك " ناقل" يعالج هذه الإرسالية ويسننها، لينتج " إشارة " قابلة لأن تنقل بواسطة " قناة " إلى " المتلقي"، الذي يفك شيفرة الإرسالية، ويرجعها إلى صورتها الأصلية، فيقدمها بعد ذلك إلى موئلها.

ينظر: عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص68.

يدرس العلامات انطلاقا من معيار أساسي هو الوظيفة التوّاصلية، ولا يدخل في دائرة اهتمامه العلامات التي لا تستعمل في التواصل. والأمر الذي يشكل هّماً نظرّياً رئيساً عند هؤلاء، هو إيجاد المعايير المناسبة لتحديد العلامات التواصلية من غيرها، حيث أن هذا التواصل مشروط بالمقصدية وإرادة المرسل التبليغ والتأثير في المرسل إليه. كما تركّزت جهودهم في معظمها على تصنيف أنساق العلامات التي ينبغي أن تشكل موضوع الدراسة[1].

- **سيمياء الدلالة:**

جاء هذا الاتجاه كرد فعل على الاتجاه الأول بتجاوزه التواصل ومايستلزمه من مقصدية لدى مستعملي العلامات، إلى أنظمة الدّلالة الثقافية بمختلف تنوعاتها. ويتمثل هذا الاتجاه الدلالي في أعمال (غريماس)(A.J.Greimas) المتعلقة بالسّرد، وأعمال (ليفي شتروس)(C.Lévi-Strauss) في مجال دراسة الأساطير، وتصورات (رولان بارت)(R.Barthes) التي حاول من خلالها إعادة بناء اشتغال الدلالة في الأنساق غير اللسانية، وذلك انطلاقا من توسيع المفاهيم اللسانية حتى تستوعب هذه الأنساق على

[1] ينظر: عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب ، ص65-71. وكذا: آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)، ص35.

تنوّعها[1]، ويتم الحصول على المعنى من الأشياء الدالة بوساطة اللغة، باعتبارها النسق الذي به يتم تفكيك ترميزية الأشياء: "ومما لا مراء فيه أن الأشياء والصور والسلوكات قد تدل، بل وتدل بغزارة، لكن لا يمكن أن تفعل ذلك بكيفية مستقلة؛ إذ إنّ كل نظام دلائلي يمتزج باللغة" [2].

- **سيمياء الثقافة:**

يرتبط هذا الاتجاه بمجموعة من الباحثين السّوفيات، المعروفين باسم جماعة: (موسكو –تارتو)(Tartu)،ومن هؤلاء: (إيفانوف)(Ivanov)، و(يوري لوتمان)(Y.Lotman)، و(توبوروف)(Toporov)، والإيطاليين ومنهم: (روسي لاندي)(R.landi) و(أمبرتو إيكو)(A.Eco)، كما يستفيد هذا الاتجاه من فلسفة الأشكال الرمزية (لكاسير) (Cassirer). يذهب هؤلاء إلى أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة. وأن الظاهرة الثقافية موضوع تواصلي ونسق دلالي يتضمن عدة أنساق (لغات وفنونا وديانات وطقوسا...)، ومن هذا المنطلق يدرسون العلاقات التي تربط بين الأنساق المختلفة، نحو علاقة الأدب بالبنيات الثقافية الأخرى

---

[1] ينظر: وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، ع 2، 2002، ص 73. وكذا: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص91 ومابعدها، وكذا: عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص71–74.

[2] رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، تر: محمد البكري، (ط2)؛ 1987، دار اللاذقية للنشر والتوزيع، سورية، ص28.

كالتِّين مثلا، ويحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني، أو بين الثقافات المختلفة[1].

ب- أدواتها النقدية

عرف المنهج السيميائي في العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولات عدة في مسائلة الخطاب الأدبي قديمه وحديثه، شعره ونثره، الأمر الذي أثار العديد من الرؤى في كيفية مقاربة النص الأدبي مقاربة واعية على مستوى الأدوات الإجرائية أو التأويل؛ واختلفت الطرق باختلاف تلك الرؤى، بين الاستفادة من إجراءات سيميائية لمدارس مختلفة، أو الالتزام بطريقة معينة لسيميائي محدد، وبين اعتماد تحليل نص معين، أو دراسة ظاهرة معينة مهيمنة في مجموعة من النصوص[2]. وفي النهاية يبقى الاختيار رهين قناعات الدارس، وأهداف التحليل وطبيعة الخطاب.

لا يتم التحليل السّيميائي بعيدا عن القراءة اللّسانياتية بمستوياتها وعناصرها الجزئية، وما تقدّمه من تفسيرات سطحية، فهو يستمدّ من تلك المعطيات قوّته التأويلية في فكّ الشفرات وترجمتها. إذ يمرّ عبر قنوات التّحليل اللّساني المعتمد على جملة من المصطلحات والنظريات والمستويات، لكنه يتجاوزه إلى محاولة الوقوف على كل

---

[1] ينظر: عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 74. وكذا: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص99.

[2] ينظر فاتح علاق: التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر (مستوياته وإجراءاته)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد الأول والثاني، 2009، سورية، ص149.

الملابسات الخارجية لفضاء النص، وإدراك الظواهر الاجتماعية والنفسية والثقافية في جوانبها التواصلية –اللّغوية منها وغير اللّغوية– بغية تحقيق أكبر قدر من القراءات الاحتمالية، بحيث يظل النّص مفتوحا على قراءات أخرى[1].

ينظر التحليل السّيميائي للنص كنسيج من البياضات والفراغات التي يجب ملؤها، وهي رؤية تحليلية تصالح بين قصدين: قصد النص الذي يُمثُل أمام القارئ باعتباره سلسلة من "التوجيهات" المسبقة التي لا يمكن تجاهلها، وبين قصد القارئ الذي يعد مركزيّاً في تعيين الدّلالات الإيحائية التي تحتاج إلى إعادة بناء قصد النص لكي يسلم كل مفاتيحه؛ واستنادا إلى ما سبق يعتبر التحليل السيميائي النص منتجا يعد قدرة التأويل جزءاً من إنتاجه[2].

يتيح لنا المنهج السّيميائي جملة من الإجراءات لتحليل النصوص، وتمر أغلب التقنيات السّيميائية المعتمدة في تحليل النصوص من لدن الدارسين عبر مرحلتين[3]:

---

[1] ينظر: حلام الجيلالي: المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، مجلة الموقف الأدبي، ع365، أيلول 2001م، دمشق، سورية، ص36–39.

[2] ينظر سعيد بنكراد: سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، (ط1)؛ 1433هـ – 2012 م، دار الأمان، الرباط – المغرب، ص359–360.

[3] ينظر: حلام الجيلالي: المقال السابق، ص39.

- مرحلة التحليل الأفقي:

وفيها يتم التفّكيك البنيوي للوقوف على المعاني السّطحية الظاهرة أو السّطحية المستخلصة من بنية النّص؛ فينتقل التّطبيق الإجرائي لهذه المرحلة عبر عدد من المستويات، بتقسيم النص إلى عدة وحدات قرائية، بحيث يمكن اعتبار كل مستوى وحدة قرائية ابتداء من الصوت إلى الكلمة فالعبارة والجملة إلى النص، على النحو الآتي[1]:

- **البنية الصّوتية:** مبحث الأصوات هو الخطوة الأولى للمحلل السّيميائي، لما للصوت من قيم تعبيرية، إذ ينطلق من أصغر وحدة صوتية في النظام اللغوي إلى أعلى مراتب التركيب، مراعيا تناسب الأصوات مع معاني ألفاظها والعلاقة بينهما.
- **البنية الصرفية:** وفيها تتم دراسة صيغ الأفعال وماتتعرض له من تغييرات وتصنيفها، ودراسة خصائص الأسماء، وبيان اللواحق، وتقصي الظواهر الصرفية البارزة...إلخ
- **البنية التّركيبية:** إن البحث في البنية التركيبية لأي نص يحيلنا على دراسة الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية في عملية التواصل، وذلك بتصنيفها وبحث العلاقات بينها في السياق.

---

[1] ينظر: محمد خاقاني ورضا عامر: (المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، ع2، صيف 1389 هـ - 2010 م، (د.م)، ص78 وما بعدها.

- **البنية الدّلالية:** وفيه يصنف الدارس السيميائي الوحدات المعجمية في النص محل الدراسة إلى حقول دلالية، لحصر العلاقات بين الألفاظ وتحديد الدلالة الكلية للنص.

- **البنية الموسيقية:** إن تحليل البنية الموسيقية في الخطاب الشعري خطوة ضرورية تتحدد معها معالم تتعدى إلى الدلالة، ومن ذلك دراسة حال الفاصلة والحذف وتأثيرهما على التفعيلة، وما ينتج عنهما من دلالة إيحائية، وما خفي من علل الزيادة والنقصان ومدلولاتها، وماتبديه القافية من إيحاءات.

ويهدف تحليل هذه المستويات وتفكيك مكّوناتها إلى حصر الظّواهر الطّاغية والعلاقات الترابطية، وتشمل جملة من الجوانب أهّمها: عتبات النص، فاعلية الحدث بين (الأنا والآخر والهو)، الحقول الدلالية الطاغية، أقطاب الصراع الدرامي التواصلي، وظائف الخطاب، الثبات والتحّول، التنّاصّ، التشّاكل، الثنائيات الضدية، الزمان والمكان، التشكيل الخطي لفضاء النّ ص، الانزياح، المربع السيميائي...إلخ، وغيرها من الظواهر التي تبرز تفاعلات النصّ والعلاقات التي تربط بين جزئياته، وتكشف عن دلالاته الظاهرية الموصلة إلى مقصدية المرسلة والمقصديات الخاصة بالمتلقي واستجاباته[1].

- مرحلة التحليل العمودي:

وفيها يتم الوقوف على الدّلالات العميقة أو الخفية المسكوت عنها، وهي دلالات

[1] ينظر: حلام الجيلالي: المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، ص39.

تأويلية تختلف باختلاف القراء؛ إذ يؤول المحلل معطيات القراءة الأولى للنص، في قراءة ثانية محاولاً إيجاد تفسيرات للرموز والشفرات لمعرفة صلتها بالنواحي الاجتماعية والدّينية والسياسية والثقافية السائدة في بنية النصّ، ومن هذه الزاوية يسعى إلى إعادة بناء المعطيات مبتدعاً نصّاً جديداً [1].

وبالنسبة للخطاب السّردي ينصب التحليل حول تقطيع النص إلى مجموعة من المقاطع الصغرى أو الكبرى حسب الضوابط السيميائية للتقطيع، وهي عملية منهجية ناجعة للإحاطة بدلالات النص الظاهرة والعميقة، كما أنها خطوة بيداغوجية ضرورية لاستخلاص الوحدات المعنوية، وحصر البنيات التي تتحكم في بناء النص[2]. كما يتعين على المحلل معالجة المكون السردي بتحديد الحالات والتحولات داخل السرد اتصالا وانفصالا وذلك في علاقتها بعواملها وفواعلها، ورصد البرنامج السردي (التحفيز–الكفاءة– الإنجاز– والتقويم)، مع دراسة منطق الجهات: (رغبة الفعل – إرادة الفعل – واجب الفعل – والقدرة على الفعل)...إلخ[3]

---

[1] ينظر حلام الجيلالي: المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، ص39.

[2] ينظر جميل حمداوي: المعايير السيميائية لتقطيع النصوص والخطابات laghtiri1965.arabblogs.com/archive/2010/11/1292685.html

[3] ينظر أحمد طالب: المنهج السيميائي (من النظرية إلى التطبيق) (د.رط)، (د.ت) دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.م)، ص: 17– 28. وكذا: جميل حمداوي: الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات، www.arabrenewal.info

2- تمثل النظرية السيميائية عند العرب:

يهتم هذا المبحث بتأصيل المنهج السيميائي في التراث العربي قديمه وحديثه، ومنهجيا لا تتسع هذه الصفحات لاحتواء جهود العرب في مجال السيميائيات كاملة، فالأمر يحتاج إلى جهود متضافرة وبحوث مستقلة ومستفيضة؛ لذلك سنركز على أبرز المحطات.

1.2- إرهاصاتها الأولى في النقد العربي القديم:

تعد الألسنية من أول العلوم التي أنضجتها الحضارة العربية، واستفاد منها الغرب في ثورتهم المعرفية المعاصرة، سواء اعتبرناها أحد فروع السيميائيات كما أكّد (دي سو سير)، أو أصلها مثلما يعتقد (رولان بارث).

وبالنظر إلى الفكر الموسوعي عند العرب، فإن إشاراتهم السّيميائية توزّعت على علوم متباينة كاللغة والبلاغة نحو دراسات (ابن جني، ابن فارس، الجاحظ، أبي هلال العسكري، عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني...إلخ) والفلسفة كبحوث (الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد...الخ) وعلم الأصول مثل دراسات (ابن تيمية وابن القيم وابن قتيبة...إلخ) والتفسير في نحو كتب (الزمخشري وابن كثير والقشيري...إلخ)[1]، إذْ كان الموجه للدّرس السّيميائي العربي هو القرآن الكريم، فمنذ نزوله استقطب اهتمام العلماء،

[1] ينظر علي سحنين: التفكير السيميائي بين التراث والحداثة، مجلة الرافد الإلكترونية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، http://arrafid.ae/189-p21.html

نزولاً عند دعوته لتدبّر آياته، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[*] وانطلاقا من هذا التوجيه الرباني وغيره، كان التعامل مع علاماته قصد فهم دلالاته العقلية والروحية والكونية.

واستناداً إلى شساعة الموضوع، ارتأينا حصر البحث في ثلاثة محاور: مفهوم العلامة في التراث العربي، طبيعتها، وأنواعها.

- **مفهوم العلامة في التراث:**

لما كانت العلامة على اختلاف مظاهرها بؤرة للتحليل السيميائي، فقد اهتم الدارسون العرب القدامى بتحليلها، حيث عبروا عنها بألفاظ مختلفة مثل الأمارة والدليل والإشارة والسِّمة، فكل ذلك يتعلق بالدّلالة. يقول (ابن فارس) (ت. 395 هـ): الدليل "إبانة الشيء بإمارة تتعلمها، تقول: دَلَلْتُ فلاناً على الطريق، والدليلُ: الأَمارة في الشيء" [1]، وغير بعيد عن هذا المفهوم تعريف (الشريف الجرجاني) (ت. 740هـ) له على أنه: "ما يلزم من العلمِ به العلُم بشيء آخَر" [2] فكلاهما لم يخرج عن كون الدليل شيئاً مدركاً

---

[*] محمد / 24.

[1] مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (د.رط)، 1423 هـ / 2002 م، دار اتحاد الكتاب العرب، (د.م)، ج2، (مادة دل)، ص272.

[2] كتاب التعريفات، (د.رط)، 1985 م، مكتبة لبنان – بيروت، ص109.

يمكننا أن نستخلص منه توقعات أو استنتاجات خاصة بشيء آخر غائب ومرتبط به، وهو المفهوم نفسه الذي جاء به (غريماس) و(أمبرتو إيكو) للدليل فيما بعد[1].

وممن تناولوا مفهوم العلامة من التراثيين العرب: (أبو هلال العسكري) (ت. 420 هـ)، حيث يشير متحدثاً عن الدلالة بأنها: "ما يمكن أن يُسْتَدَلَّ به، قَصَدَ فاعله ذلك أو لم يقصد، والشاهد أنَّ أفعال البهائم تدل على حدثها، وليس لها قصد إلى ذلك (...) وَمَنْ جعل قصد فاعل الدلالة شرطاً فيها احتجَّ بأنَّ اللِّصَّ يُستدل بأثره عليه، ولا يكون أثره دلالة؛ لأنه لم يقصد ذلك، فلو وُصِفَ بأنه دلالة، لُوصِف بأنه دال على نفسه" [2].

وهذه إشارة من (أبي هلال) إلى إشكالية القصدية في العلامة، والتي تشكل في الفكر السيميائي الحديث موضوع نقاش بين اتجاهين، يؤكد الأول على الطبيعة الإبلاغية التواصلية للعلامة بحيث تتشكل من دال ومدلول وقصد، ويمثل هذا الاتجاه كل من (مونان)(G.Mounin)، و(مارتيني)(J.Martini)، و(بريطو)(Preto)، فيما يركز الثاني على الجانب التأويلي للعلامة بالنسبة للمتلقي (السيميائيات الدلالية)، ويمثل هذا الاتجاه (رولان بارث)[3].

---

[1] ينظر: أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص36.

[2] الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، (د.رط)، (د.ت)، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص68.

[3] ينظر: بلقاسم دفة، علم السيمياء في التراث العربي، مجلة التراث العربي، ع91؛ 1424هـ/2003م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سورية، ص72.

- **طبيعة العلامة**

من المباحث السّيميائية والدّلالية التي تحدث فيها الدارسون العرب القدامى على اختلاف اتجاهاتهم العلمية – من فلاسفة وعلماء أصول ولغويين – طبيعة العلامة، من حيث هي شيء محسوس يدل على شيء مجرد غائب عن الأعيان، وفي هذا المعنى يقول (ابن سينا) (ت. 427هـ): "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية...ارتساماً ثانياً ثابتاً وإن غابت عن الحسّ..." [1].

وإذا تدبرنا هذا المفهوم نجد أن العلامة لدى (ابن سينا) ثنائية المبنى؛ تتألف من مسموع ومعنى (مفهوم) وهو التصور نفسه الذي قدمه (دي سوسير) للعلامة؛ إذ تتألف من صورة سمعية (دال) وصورة ذهنية (مدلول).

ومن هؤلاء الدارسين من أضاف طرفاً ثالثاً لثنائية الدال والمدلول، وهو ما يعرف "بالمرجع"، ونجد هذا التصور مثلاً لدى (أبو حامد الغزالي) (ت. 505هـ) الذي أشار إليه ضمن حديثه عن رتبة الألفاظ من مراتب الوجود[2]قائلاً : "إن للشيء وجوداً في الأعيان

[1] العبارة، تح: محمود الخضيري، (د.رط)؛ 1970م، (د.د)، القاهرة، ص3-4.

[2] بلقاسم دفة، علم السيمياء في التراث العربي، ص73-74.

ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان" [1].

كما نجد التصور نفسه للعلامة –بأطرافها المذكورة –عند (حازم القرطاجني) (ت. 684هـ) حيث يقول: " قد تبيَّن أن المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان، ولها من جهة ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام، ولها وجود من جهة ما يدل على تلك الألفاظ من الخَطِّ (الكتابة) [ما] يقيم صور الألفاظ، وصور ما دلت عليه في الأفهام والأذهان" [2].

إن ما قدمه كل من (الغزالي) و(القرطاجني) يتلخص في كون الرمز الكتابي يجسد هيئآت الألفاظ في الأفهام، وهذا ما يستدعي حضور الصورة الذهنية، والتي تشير بدورها إلى المدركات العينية الخارجية (المرجع). وقد أصبح هذا التصور لعالم الأشياء محوراً أساسياً في النظرية الدلالية الإشارية التي جاء بها (رتشاردز) (Richards) و(أوجدن) (Ogden) في مؤلفهما (معنى المعنى) (The meaning of meaning) حيث أوجزا تصورهما في شكل مثلث يشتمل على[3]:

---

[1] معيار العلم في فن المنطق، تح: محي الدين صبري الكردي، (ط2)، (د.ت)، المطبعة العربية بمصر، ص41–42.

[2] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط3)؛ 2008، الدار العربية للكتاب، تونس، ص18.

[3] ينظر: بلقاسم دفة، علم السيمياء في التراث العربي، ص74.

– **الرمز** (Symbol): وهو الدال ويأتي منطوقاً أو مكتوباً، ويقابله اللفظ عند التراثيين.

– **الفكرة** (المفهوم): (Refererence) وهي الصورة الذهنية التي تتراءى من خلال الدال، ويقابله المدلول عند ديسوسير والمعنى لدى التراثيين.

– **المرجع** (المشار إليه): (Referent) وهو الواقع الخارجي، أو الموجود في الأعيان.

وتنص النظرية الإشارية على أن معنى الكلمة هو العلاقة بين الرمز وما يشير إليه[1].

- **أنواع العلامة:**

اهتم العلماء العرب القدامى بتصنيف العلامات وتعليلها من أجل إدراك أوسع لماهيتها، وتوصلوا إلى أن النظام السّيميائي للعلامات يتأسس على الأنواع الآتية:

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ط5)؛ 1998م، عالم الكتب، مصر – القاهرة، ص 54 ومابعدها. وكذا: قادة عقاق: ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي الفكري واللغوي، محاضرات الملتقى الوطني الأول للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)، 2000م منشورات جامعة محمد خيضر – بسكرة، ص121.

أ- بالنظر إلى طبيعة الدال، فهي إما لفظية أو غير لفظية[1]، ويحصرها (الجاحظ) (ت.255هـ) في خمسة أشياء: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: أولها اللّ فظ، ثم الإشارة ثم العَقْد[*]، ثم الخَطُّ، ثم الحال التي تسمى نِصْبَةً" [2]. وينزل بها في كتاب (الحيوان) إلى أربعة فحسب، على أنه يجعل الضّرب الخامس هو ما يقع "من صحة الدلالة، وصدق الشهادة، ووضوح البرهان" [3] ثم يفصل بعد ذلك نظرّية الإرسال والاستقبال؛ مبيناً أن "الله قد جعل اللّفظ للسّامع، وجعل الإشارة للنّاظر، وأشرك الناظر واللاّمس في معرفة العقد، إلاّ بما فضَّل الله به نصيب النَّظر في ذلك على قدر اللامَّس، وجعل الخطّ دليلاً على ما غاب من حوائجه عنه، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه (...) ولم يجعل للشّام والذّائق نصيباً"[4].

وتنبئ هذه النصوص بوعي معرفي عميق عن أنواع التبليغ السيميائي، فيجعل السّمة اللفظية المنطوقة أداة للاتصال بالسامع، وسمة الإشارة للناظر وحده –وهي سمة

---

[1] ينظر: علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، (ط1)، 1424هـ- 2003م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ج1، ص32.

[*] العقد: ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين.

[2] البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، (د.رط)، (د.ت)، دار الفكر، (د.م)، ج1، ص76.

[3] تح: عبد السلام محمد هارون (ط2)؛ 1374هـ- 1965م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج1، ص45. وكذا عبد الملك مرتاض : نظرية النّص الأدبي ، ص 167 .

[4] المصدر نفسه، ج1، ص45-46.

بصرية–، أما الخط (الكتابة) فيجعله الجاحظ "أيقونة" أو مُثالاً[*]بحكم أن اللّفظ الحاضر دال على سمة هي المعنى الغائب بكل تشعباته[1].

ويفصّل (الجاحظ) في استعمال هذه السّمات، ومن ذلك قوله: "أما الإشارة: فباليد، وبالرأس، وبالعين، وبالحاجب، والمنكب –إذا تباعد الشخصان– وبالثوب، وبالسيف (...) والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم التّرجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ، وما تغني عن الخط" [2]. إلا أنه غفل عن السّمتين الشّمية والذّوقية لّما أشار إلى أن الله لم يجعل للشّام والذائق نصيباً [3].

وعموماً فإن تقسيم العلامات إلى لفظية وغير لفظية هو رؤية سيميائية تراثية مبكرة لما توصلت إليه السيميائيات الحديثة، ذلك العلم الذي يدرس العلامات بشتى أشكالها من لغة وطقوس وعادات...إلخ.

ب– وبالنظر إلى طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، فإن ثمة توافق عام عند اللغويين والمناطقة العرب على وجود ثلاثة أقسام للعلامة، وذلك في إطار معالجتهم

---

[*] المماثل يقابل المصطلح الأجنبي (Icone) كما ترجمه (عبد الملك مرتاض)، ويقصد به: سمة حاضرة دالة على سمة غائبة. ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النّص الأدبي ، ص168.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص167–168.

[2] البيان والتبيين، ج1، ص77–78.

[3] عبد الملك مرتاض: المرجع السابق، ص169.

لقضية الدلالة، باعتبارها النسبة الرابطة بين اللفظ والمعنى، أو الدال والمدلول بالاصطلاح الحديث، وقد ميزوا ثلاثة أنواع للدلالة: وضعية، وطبيعية، وعقلية[1].

الدلالة الوضعية: هي"دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع، ينتقل لأجلها منه إليه، والحاصل أنها دلالة يكون للوضع مدخل فيها" [2]. وهذا المفهوم لمطلق الوضع، ولتخصيص أكبر: الدلالة الوضعية اللفظية هي: "كون اللفظ بحيث إذا أُطلق، فُهِم المعنى منه للعلم بالوضع" [3]، وذلك ما ذهب إليه –فيما بعد– دي سوسير في قوله باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول[4].

الدّلالة الطبيعية: هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية، ينتقل لأجلها منه؛ والمراد من العلاقة الطبيعية، إحداث طبيعة من الطبائع (...) كدلالة (أَحْ أَحْ) على السعال (...) فالرابط بين الدال والمدلول هنا هو الطبع" [5].

---

[1] ينظر: عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة)، (ط2)؛ 1994، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ص15. وكذا: فريد أمعضشو، المنهج السيميائي، http://www.dhifaaf.com

[2] محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، (ط1)؛ 1996، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ج1، ص789.

[3] محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ص790.

[4] ينظر: محاضرات في علم اللسان العام، ص105 وما بعدها.

[5] محمد علي التهانوي: المرجع السابق، ص788.

الدّلالة العقلية: هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه؛ والمراد بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقاً، سواءً كان استلزام المعلول للعلة كاستلزام الدخان للنار، أو العكس كاستلزام النار للحرارة، فإن كليهما معلولان للنار" [1].

وهكذا توصل العرب تدريجياً إلى تعميم مجال أبحاث الدلالة على كل أصناف العلامات – متبعين منهجاً استقرائياً – مع الاعتماد على الدلالة اللفظية كنموذج أساسي، ثم إن الأقسام التي وقعوا عليها هي قريبة جداً من فروع العلامة المأخوذ بها منذ (بيرس)[2].

2.2- النظرية السيميائية في النقد العربي الحديث

ظهر المنهج السيميائي في النقد العربي من رماد البنيوية، حين بلغت المناهج النقدية الأخرى التي سبقته الباب المسدود، وكان ذلك منذ منتصف السبعينيات، وأخذ يتأسس خلال الثمانينيات من بوابة المغرب العربي، من خلال الأقلام التي أسهمت في هذا الحقل مثل (محمد مفتاح، ومحمد السرغيني، وعبد الفتاح كليطو، ومحمد الماكري) من المغرب، و(عبد المالك مرتاض، و عبد القادر فيدوح، وعبد الحميد بورايو، ورشيد بن

[1] محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص788.

[2] ينظر: عادل فاخوري علم الدلالة عند العرب، ص13 وما بعدها.

مالك) من الجزائر، و(صلاح فضل) من مصر و(محمد عزام) من سورية، و(عبد الله الغذامي) من السّعودية، وغيرهم[1].

يعد المنهج السيميائي أكثر الاتجاهات النقدية المعاصرة سيطرة على الساحة العربية، والأكثر تأثيراً على المنظومة الفكرية المعاصرة. وقد تجلى هذا الاهتمام عبر عدة مستويات: المؤسسات والمخابر الجامعية، المجلات، الترجمة، والتأليف.

- **المؤسسات والمخابر الجامعية:**

تعتمد بعض المؤسسات والمخابر الجامعية تخصيص ملتقى سنوي لمطارحة الفكر السيميائي من جميع جوانبه تنظيراً وتطبيقاً، ومن ذلك: مختبر السيمياء وتحليل الخطاب الذي يترأسه رشيد بن مالك، ومختبر بنغازي للسيمياء وتحليل الخطاب، والملتقى الدوري الذي يقام سنوياً بجامعة محمد خيضر ببسكرة، والموسوم بـ (السيمياء والنص الأدبي) [2].

---

[1] حفناوي بعلي: التجربة العربية في مجال السيمياء (دراسة مقارنة مع السيميولوجيا الحديثة)، محاضرات الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)، 2002م، منشورات جامعة محمد خيضر – بسكرة، ص164.

[2] مختار ملاس: التجربة السيميائية العربية في نقد الشعر (قراءة في المنهج)، محاضرات الملتقى الوطني السادس للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)؛ 2011، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص123.

- **المجلات:**

تخصص الكثير من المجلات العربية حُيِّزَ أبحاثها لمدارسة النظرية السيميائية، وترتبط عناوين الكثير منها بموضوع السيمياء، ومن ذلك مجلة (علامات) وهي مجلة ثقافية محكمة تصدر بالمغرب، وتعنى بالسيميائيات والدراسات الأدبيه الحديثة، يديرها (سعيد بنكراد)، ومجلة (دراسات سيميائية أدبية لسانية)، وتصدر بالمغرب أيضا، ومجلة (أيقونات) الجزائرية، التي تصدر عن رابطة "سيما" للبحوث السيميائية، بإدارة: (عبد القادر فهيم شيباني)، ومجلة (بحوث سيميائية) ويصدرها مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر كذلك، ويديرها (رشيد بن مالك)، وغير ذلك كثير[1].

- **الترجمة**

مع انفتاح النقد العربي على المنجز النقدي الغربي واستيراده للنظرية السيميائية، أصبحت الترجمة رافداً من روافد البحث السيميائي في النقد العربي، فقد أقدم بعض الباحثين على ترجمة الأعمال السيميائية الغربية البارزة، ومن ذلك :[2] تعريب (حميد لحميداني) (من المغرب) لكتاب (مارسيلو داسكال) (Marcilo Dascal): "الاتجاهات

---

[1] ينظر مختار ملاس: التجربة السيميائية العربية في نقد الشعر، ص123 .

[2] ينظر عبد الله أبو هيف: المصطلح السردي تعريباً وترجمة، في النقد الأدبي العربي الحديث، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 28، ع1، 2006، اللاذقية – سورية، ص36 وما بعدها.

السيميولوجية المعاصرة" 1987، وترجمة (منذر عياشي) من سورية كتاب (بيير جيرو(Pierre Girud)): "علم الإشارة – السيميولوجيا "1988، كما ترجم الناقد المغربي (سعيد بنكراد) جملة من الأعمال السيميائية، منها كتاب (فيليب هامون) Fhilippe (Hamon:" سيميولوجية الشخصيات الروائية" 1990، وأقدم (سعيد الغانمي) على كتاب (روبرت شولرز) (Robert Sholrz): "السيمياء والتأويل" 1994، كما ترجم (نجيب الغزواي)من سورية كتاب(كريماس)(Greimas):"في المعنى (دراسات سيميائية)" 2000، وعرّب (عبد الرحمن بوعلي) من المغرب كتاب (جيرار دولودال) (Gerard Dolodal): "السيميائيات أو نظرية العلامات" 2004، وعرّب السيميائي الجزائري (رشيد بن مالك) ستة نصوص سيميائية لـ (آن إينو) (Anne Henault) وآخرون، في كتاب ضخم عنونه: "بالسيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ"، 2008، وغير ذلك كثير.

وفي مجال تعريب المصطلح، تجدر الإشارة إلى جهود (رشيد بن مالك) الذي ألّف "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي" 1997، وهو قاموس ثلاثي اللغة، يشتمل على أكثر من مائتي مادة، وضعه بهدف إقامة جسر للتواصل العلمي بين القارئ العربي والمعرفة السيميائية الحديثة، وقد ارتكز فيه بشكل أساسي على القاموس السيميائي لـ (غريماس) و(كورتيس)، وبعض المعاجم العربية والأعمال النقدية المترجمة[1]. وتعريب

[1] ينظر سحنين علي: السيميائيات السردية وخطاب التنظير في تجربة (رشيد بن مالك) النقدية، جريدة " سمات "، مج 2، جانفي 2014م، جامعة البحرين، ص66.

(شاكر عبد الحميد) من مصر لـ "معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)" لـ (دانيال تشاندلر) (Daniel Chandler) 2002م.

وما يميز الجهود التّرجمية العربية بصفة عامة، افتقارها لإستراتيجية ترجمة وتعريب، تراعي خصوصية المصطلح السيميائي في بيئته الخاصة، والبيئة المنقول إليها، "فالمصطلح لا يدرك إلاّ من خلال موقعه داخل تصور نظري يمنحه مشروعية الوجود والاشتغال، مما يعني أن نقل المصطلح هو نقل لهذا التصور، وليس إعطاء مقابل عربي لمفردة أجنبية" [1].

والحاصل في ميدان ترجمة الأعمال والمصطلحات السيميائية، أن كل ناقد ينطلق من اجتهاداته الشخصية وبالتالي الوقوع في فوضى المصطلح وغياب التنسيق ابتداءً من اسم العِلْمِ نفسه، فقد أحصى الناقد (يوسف وغليسي)_ مثلاً _ ستاً وثلاثين ترجمة عربية لمصطلحي سيميولوجيا وسيميائيات[2]، ومن شأن هذا أن يوقع القارئ العربي في حيرة رهيبة أثناء تلقيه لهذا المنهج.

---

[1] سعيد بنكراد: المصطلح السيميائي (الأصل والامتداد) .http://www.saidbengrad.net/ar/art8.htm

[2] ينظر يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (ط1)؛2008م، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص229 وما بعدها.

- **التأليف:**

إن جُلَّ ما أُلِّفَ من أبحاث سميائية كان نظرياً؛ يهدف إلى التأريخ لهذه النظرية وتأصيلها والتعريف بها ضمن تفحصه لأهم مرجعياتها العلمية ومنطلقاتها النظرية، بغية إرجاعها إلى أصولها التي انبثقت عنها، وتحديد العلوم التي أسهمت في بروزها، والإشارة إلى إجراءاتها المنهجية[1]. ومن ذلك كتاب: "محاضرات في السيميولوجيا" 1986، للباحثين المصريين (نصر حامد وسيزا قاسم) و"دروس في السيميائيات" 1987 للباحث المغربي (مبارك حنون).

أما على المستوى الإجرائي، فلعل أقدم محاولة لتطبيق السيميائيات الغربية على النص الغربي، تُعزى للباحث التونسي (علي العشي)، من خلال دراسته[*] التي ظهرت عام 1976، بعنوان: "تحليل سيميائي للجزء الأول من كتاب الأيام لطه حسين"[2].

وكان للناقد المغربي (محمد مفتاح) السبق في تمثل المنهج السيميائي في شموليته وتجانسه، إذ نشر كتابه الأول الموسوم بـ: "في سيمياء الشعر القديم" سنة 1982، وهو مجموعة من الدروس كان أعدَّها لُيلقيها على طلبته، هادفاً من خلالها إلى

---

[1] ينظر قادة عقاق: تلقي المعرفة السيميائية في الخطاب النقدي المغاربي (مستوياتها ورهاناتها ونتائجها)، ضمن كتاب محاضرات الملتقى الوطني السادس للسيمياء والنص الأدبي، ص71.

[*] هي دراسة جامعية قدمها لنيل شهادة الكفاءة في البحث العلمي.

[2] حفناوي بعلي: التجربة العربية في مجال السيمياء، ضمن محاضرات الملتقى السادس للسيمياء والنص الأدبي، ص172.

بث روح البحث المتعمق، وفتح آفاق جديدة أمامهم لدراسة الأدب، وقد اختار "نونية" (أبي البقاء الرندي) كمدونة يشتغل عليها، جامعاً –في هذه المحاولة – بين ما ورد عند بعض النقاد العرب القدامى من مبادئ، وما انتهت إليه الدراسات الشعرية السيميائية آنذاك[1].

ثم قام الناقد ذاته بمقاربة سيميائية أخرى لرائية (ابن عبدون) تجسدت في كتابه: "تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)" الذي كانت طبعته الأولى سنة 1985م، وقد صاغ نظرية لتحليل الخطاب الشعري، بالتركيب بين جزئيات عدة نظريات (التيار التداولي، نظرية الأفعال الكلامية، التيار السيميائي... إلخ) للإحاطة بالخطاب المدروس من جميع جوانبه، باعتبار قصور النظرة الجزئية التي ترتكز عليها كل مدرسة أو نظرية[2].

وبعد التطور الحاصل في مجال الدراسات السيميائية، واستخدامها لمفاهيم فيزيائية، وبيولوجية، ورياضية، ومعلوماتية، وضع محمد مفتاح سنة 1987 أمام القارئ

---

[1] ينظر: محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم (دراسة نظرية وتطبيقية)، (د.رط)، 1989، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء – المغرب، ص5.

[2] ينظر محمد مفتاح: (تحليل الخطاب الشعري –إستراتيجية التناص–)، (ط3)؛ 1992، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ص5 وما بعدها. وكذا محمد بلقاسم: نظرية محمد مفتاح في تحليل الخطاب الشعري وتطبيقها، الأثر، مجلة الآداب واللغات، ع 6، ماي 2007، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة – الجزائر، ص50 وما بعدها.

العربي –مواكبة لهذا التطور– مقاربة جديدة للنص الشعري العربي، قدمها من خلال كتابه: "دينامية النص (تنظير وإنجاز)" تستثمر بعض هذه المفاهيم الجديدة[1].

وكان الناقد (عبد الملك مرتاض) هو من حمل مشعل السبق في الممارسة النقدية السيميائية بعد (محمد مفتاح)؛ حيث كانت أول تجربة له مع المنهج السيميائي سنة 1989، حين نشر دراسته الموسومة ب: "ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)"، معتمدا التركيب بين المنهجين السيميائي والتفكيكي –كما هو واضح من خلال العنوان– وكان هذا ديدنه الذي سلكه في مقارباته الأولى، حيث نشر سنة 1992 دراسته: "ألف–ياء (تحليل مركب لقصيدة –أين ليلاي– لمحمد العيد"، ثم نشر سنة 1995 دراسته: "تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية –زقاق المدق–[2]" وكان ذلك في إطار تجنب التعصب لأي منهج على حساب منهج آخر، واختيار طريق مفتوح للمعرفة؛ لأن المنهج الكامل لمَّا يولد[3].

---

[1] ينظر محمد مفتاح: (دينامية النص – تنظير وإنجاز–)، (ط3)؛ 2006، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء – المغرب، ص 5 وما بعدها. وكذا: مختار ملاس: التجربة السيميائية العربية في نقد الشعر، ص125–126.

[2] ينظر مختار ملاس: المرجع نفسه، ص126.

[3] ينظر: عبد الملك مرتاض: ألف – ياء (تحليل مركب لقصيدة–أين ليلاي–لمحمد العيد)، (د.رط)، دار الغرب للنشر والتوزيع 2003، وهران – الجزائر، ص22.

ولعلّ (محمد مفتاح) و(عبد الملك مرتاض) هما الناقدان الوحيدان اللذان التزما بشكل جاد، نقل النظرية السيميائية من مهادها النظري إلى ميدان التطبيق عبر تفعيل إجراءاتها على النصوص الأدبية.

ومن القراءات الجادة التي استثمرت المنهج السيميائي أيضاً، ما قام به الناقد المغربي (محمد السرغيني) في كتابه "محاضرات في السيميولوجيا"، الذي نشره سنة 1987، حيث قدم تحليلاً لقصيدة –المواكب– لـ (جبران)، بعد استعراض للنظرية السيميائية[1].

ومن ذلك أيضا مقاربة (صلاح فضل): "شفرات النص (دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد)" 1995، وهي عبارة عن مجموعة من المقاربات لنصوص شعرية وقصصية، أراد صاحبها أن يخرج من مجرد الوقوف عند التكوينات النظرية إلى التجربة العملية، استكمالاً للجهاز المعرفي النقدي وإفادة من محصلة معطياته[2].

كما قدم الناقد (محمد عزام) دراسة قيمة سنة 1996، تحت عنوان: "النقد والدلالة (نحو تحليل سيميائي للأدب)" حيث طبق المنهج السيميائي على نموذج من

---

[1] مختار ملاس: التجربة السيميائية العربية في نقد الشعر، ص126.

[2] صلاح فضل: شفرات النص (دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد)، (ط2)؛ 1995، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م)، ص5.

الشعر المعاصر، وهو قصيدة (شاهين) للشاعر السوري (محمد عمران) من ديوانه: (أغان على جدار جليدي)، وذلك بعد فصول نظرية ثلاثة[1].

وعلاوة على ما نُكر من دراسات، ثمة العديد من المؤلفات والقراءات التطبيقية المنشورة بالمجلات على اختلاف منهجياتها؛ فهناك من يستفيد من إجراءات سيميائية لمدارس مختلفة، وثمة من يلتزم بطريقة محددة لسيميائي معين، وهناك من يستعين بإجراءات نقدية لمناهج نصية أخرى إلى جانب المنهج السيميائي، كما أن بعض الدارسين يلتزم بتحليل نص معين، في حين يتناول بعضهم الآخر ظاهرة مهيمنة في مجموعة من النصوص.

[1] مختار ملاس: التجربة السيميائية العربية في نقد الشعر ، ص127-128.

الفصـــــل الثاني

(التفكير النقـــدي السيميـائي

في الجزائر وتطبيقاته)

بدأ الخطاب النقدي في الجزائر يعرف تحولاً في تعامله مع النص الأدبي في أواخر الثمانينيات، بتجاوزه للمناهج النقدية السياقية إلى المناهج الحداثية، مسايرة لتطورات الساحة النقدية العربية والعالمية، وتم ذلك على يد نخبة من المثقفين الجامعيين الجزائريين أمثال (عبد الملك مرتاض، وعبد الحميد بورايو، والسعيد بوطاجين، وعبد القادر فيدوح، ورشيد بن مالك، ويوسف أحمد)، وهي النخبة المؤسسة للمشهد الحداثي للخطاب النقدي في الجزائر[1].

وقد ألح هؤلاء على ضرورة مراجعة منهج الدراسة الأدبية، والاستفادة من المعطيات العلمية الجديدة للحصول على نتائج أدق، ومن ذلك تصريح (عبد الملك مرتاض): "ولولا طائفة من النقاد الجدد الذين رفضوا أن يظل النقد على ما أقامه (تين)[Hippolite Taine] و(لانسون) [G.Lanson] و(بوف)[S.Beuve] ، (...) وأقبلوا يبحثون في أمر هذا النص بشرٍ علمي عجيب (...)–ومن هؤلاء الاجتماعيون والنفسانيون والشكلانيون والبنويون والتفكيكيون والسيميائيون (...)– لكان أمر النقد بعامة

[1] وذناني بوداود: خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، مجله الأثر، العدد 11، فيفري 2007، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة – الجزائر، ص1.

وتحليل النص الأدبي بخاصة، انتهيا إلى باب مغلق لا يفتح بأي مفتاح" [1]، وهذا ما يؤكد استفادته المبكرة من النقد الجديد وتياراته، وتأييده لمواقف أعلام هذا التنظير.

وهكذا تأسس وعي نقدي جديد، لفت الانتباه إلى ضرورة تبني المناهج النسقية في تحليل النص الأدبي، ومن ثم تحرك المشهد النقدي في الجزائر، وكان المنهج السيميائي الأكثر حضوراً فيه، لأسباب نؤجل ذكرها لأوانه.

1- البدايات والرواد:

أعلن الناقد الجزائري انفتاحه على الّنظرية السيميائية -خاصة الفرنسية منها ذات التوجه الغريماسي - وشرع يفيد من مقولاتها النقدية بداية من ثمانينيات القرن العشرين. ويرجع فضل السبق في نقل النظريات اللسانياتية الجديدة -بما فيها السيميائية - وفي استيراد المفاهيم والمصطلحات إلى سوق النقد الجزائرية إلى الباحث (عبد الملك مرتاض)؛ وذلك بالنظر إلى الاتجاه العام الذي سلكه في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم الحضارية، فضلاً عن تجربته ومراسه مع الحداثة وأعلامها، وهي حصيلة غنية توفر عليها الباحث، لا تزال بصماتها جلية في ميادين كتاباته النقدية بكل ما فيها من أبعاد ودلالات[2].

---

[1] ألف - ياء (تحليل مركب لقصيدة - أين ليلاي - لمحمد العيد)، ص43.

[2] ينظر مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح) (د.ت)؛ 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص11.

دشَّنَ (عبد الملك مرتاض) تجربته النقدية الجديدة بثورة عارمة على المناهج التقليدية، وتراوحت أعماله التجريبية التأسيسية الأولى بين المنهجين البنيوي والأسلوبي، ولعل كتابه "النص الأدبي من أين وإلى أين" (1983) يشكل خلاصة منهجية واعية لهذه المرحلة[1].

ثم أخذ –بعد ذلك– يتجاوز البنيوية إلى ما بعدها، إذ اصطنع منهجاً مركباً يقوم على المؤالفة بين السيميائية والتفكيكية؛ وأول محاولة له في ذلك تجسدت في كتابه: "ألف ليلة وليلة–تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، الذي صدر في العراق سنة (1989). ويليه مؤلفه:" أ/ي – دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد" (1992)، ثم كتابه: "شعرية القصيدة قصيدة القراءة–تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية" (1995)، وبعده صدر كتابه: "تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية (زقاق المدق) لنجيب محفوظ" (1995)[2].

عموماً، جسدت هذه الكتب الأربعة الخطوة الأولى في مضمار مرحلة ما بعد البنيوية في المشهد النقدي الجزائري استطاع من خلالها الناقد الإفادة من معطيات التحليلين السيميائي والتفكيكي معاً .

---

[1] ينظر يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض (بحث في المنهج وإشكالياته)، (د.ط)؛ 2002، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص50 وما بعدها.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص64 وما بعدها.

وإلى جانب (عبد الملك مرتاض) يحظى (عبد الحميد بورايو)[*] بالدور الرّيادي في ذات المجال، وإن كان أكثر ميلاً ومتابعة للبحث في ميدان الثقافة الشعبية الجزائرية والعربية معاً، على مستوى الجامعة، والملتقيات العلمية داخل الجزائر وخارجها. وتنوعت خبرته النقدية بين النقد الماركسي، والبنيوي الاجتماعي التكويني، والبنيوي الأنتروبولوجي، والنقد السيميائي الذي اضطلع بالكتابة فيه؛ فغدا أحد أقطابه، وقد كانت لكتاباته أهداف تعليمية وتعريفية بحتة، موجهة لتكوين طلبة الدراسات العليا من أجل ترسيخ الدرس السيميائي، كما يتجلى في العالمين العربي والغربي[1]. حيث ظهرت دعوته إلى هذا التيار في وقت مبكر، من خلال الدروس التي كان يلقيها – في بداية الثمانينيات–وفيها يُعلن عن تمرده على الوضع النقدي في الجزائر، وتصديه للنصوص السردية بالدرس والتحليل[2].

---

[*] من مواليد 1950 بتونس، باحث في علم الاجتماع واللغويات وأستاذ جامعي مهتم بالثقافة الشعبية بجامعة الجزائر، تحصل على الماجستير بالقاهرة سنة 1978، وعلى دكتوراه الدولة من الجزائر سنة 1996، مدير مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية. من السيرة العلمية لعبد الحميد بورايو (مراسلة عبر البريد الإلكتروني) bourayou50@yahoo.fr

[1] ينظر: حوار علي ملاحي مع عبد الحميد بورايو، بتاريخ: 2010/2/25، www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=32501

[2] ينظر جان كلود كوكي: السيميائية (مدرسة باريس)، تر: رشيد بن مالك، (ط1)؛ 2003، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران– الجزائر، ص10.

لكن مؤلفاته السيميائية لم تظهر إلا في وقت متأخر، ومن ذلك كتابه: "الحكايات الخرافية للمغرب العربي (دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات) 1992، الذي جمع فيه بين أطراف منهجية متفرقة: (مورفولوجية بروب، بنيوية ستراوس الأنتروبولوجية، سيميائيات غريماس،... إلخ). وكتابه: منطق السرد (دراسة في القصة العربية الجزائرية الحديثة) 1994، ومؤلفه "مدخل إلى السيميولوجيا (نص–صورة) 1995.

ومن الممارسات السّيميائية الرّائدة في الجزائر، كتاب (عبد القادر فيدوح)[*]: "دلائلية النص الأدبي –دراسة سيميائية للشعر الجزائري– 1993، والذي استهل به الناقد جهوده السيميائية بعد إتمام مشواره الأكاديمي.

ومن الرواد أيضاً (رشيد بن مالك)[**] ، له عدة مؤلفات متخصصة، تنوعت بين الترجمة والتلقي والتأصيل للمنهج السيميائي، وللمصطلح السردي في الخطاب العربي

[*] أكاديمي وناقد من الجزائر مهتم بالدراسات الفلسفية، من مواليد 1948 بمعسكر، حصل على درجة الدكتوراه من مصر، اشتغل أستاذاً للنقد ونظرية الأدب، وعميداً لكلية الأدب بجامعة وهران، قبل أن ينتقل إلى جامعة البحرين، وقد أسهم في صياغة العديد من المشاريع الثقافية من خلال الندوات والمؤتمرات، ونشر الكتب والمقالات.

[**] باحث وناقد أكاديمي جزائري مختص في الدراسات السيميائية، من مواليد 1956 بتلمسان، مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، حاصل على دكتوراه الحلقة الثالثة من جامعة السربون بباريس سنة 1984.

النقدي، وهي أعمال منجزة في إطار تأسيس مشروع للتحليل السيميائي للّنصوص السّودية[1].

وقد كانت خطوته الأولى في مجال البحث السّيميائي، هي رسالة الدكتوراه التي تحصل عليها من جامعة تلمسان، والمعنونة ب "السيميائية بين النظرية والتطبيق" 1995/1994، ولازالت مخطوطاً إلى يومنا هذا، ثم بدأ بتدوين دراساته السيميائية في العديد من المجلات العلمية، أما كتبه فقد أُلفت أو بالأحرى نُشرت جميعها بالعقد الماضي، ونذكر من تلك المقالات[2]:

- السيمياء (نظرية لتحليل الخطاب)، مجلة تجليات الحداثة، العدد 4، جوان 1996.

- تمفصلات النص (القصة العربية: قراءة سيميائية في قصة العروس للروائي- غسان كنفاني)، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، العدد 34، جويلية / أوت 1998.

- إشكالية الترجمة في الخطاب السيميائي المعاصر، مجلة حوليات جامعة وهران، العدد 7، جوان 1998.

---

[1] ينظر كمال جدي: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف العيد جلولي، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، 2012/2011، ص42.

[2] المرجع نفسه، ص43-44.

وككل محاولة تجديد وتغيير، لم تتلق النظرية السيميائية ترحيباً من الدارسين المحافظين في بداية الأمر، هذا ما أكّده (عبد الحميد بورايو) متحدثاً عن الظروف التي صاحبت تلقي النظرية السيميائية في الجزائر، والصعوبات التي تلقّاها الّرواد في ذلك، قائلاً: "حاولت مع زملائي ترسيخها في البحث الأدبي للحاق بركب الدرس الأدبي في المغرب وتونس على الأقل (...) كانت هناك مقاومة شديدة خاضها ضدنا المحافظون الذين يعتمدون في درسهم الأدبي على الانطباع ومعالجة المضامين بطريقة غير منهجية، فشككوا في قيمتها، واعتبروها أدوات مستوردة لا تصلح لمعالجة النص الأدبي، غير أن الإصرار والعمل الجاد مكّن من تجاوز مرحلة التشكيك الأولى" [1].

أما عن إدراج السّيميائيات في البرامج الّدراسية في أقسام اللغة العربية وآدابها، في الجامعات الجزائرية، فقد كان في نهاية التسعينات، وسجَّل الطلبة منذئذٍ أبحاثاً يحاولون فيها تطبيق منهجية النقاد الرواد في التحليل[2].

2 – المؤثرات:

يقصد بالمؤثرات دوافع تبني الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر، وأسباب كونه الأكثر حضوراً في المشهد النقدي ونجملها فيما يلي:

---

[1] حوار علي ملاحي مع عبد الحميد بورايو، بتاريخ: 2010/2/25.

[2] ينظر الحوار نفسه.

- جُلُّ الذين تبنوا الخطاب السيميائي في الجزائر، كانوا قد درسوا في فرنسا على يد مجموعة من المفكرين الذين يعدون من أقطاب السيميائية الحديثة، أو أفادوا من مظان سيميائية لهم، (فعبد الملك مرتاض) مثلاً، تمثل الكثير من آراء (غريماس) واعتمد بشكل واضح على القواميس السيميائية واللسانياتية الفرنسية[1]، وتبنى (عبد الحميد بورايو) التحليلات السردية الغريماسية، وتحليلات الحكايات الشعبية والممارسات الثقافية الجمعية لدى (جوزيف كورتيس)(J.Courtés)[2]. أما (رشيد بن مالك) فقد كان لرحلاته الدراسية وبالأخص لفرنسا الأثر الأكبر في حياته العلمية والعملية، فقد حددت –تلك الّرحلات – توجهه إلى دراسة السيمياء الغريماسية، من خلال اطلاعه على منجزات (غريماس)، ومعاصرته لأعمال (كورتيس) و(ميشال آريفيه)(M.Arrivé)، و(جان كلود كوكي)(J.C.Coquet)، و(لوي بانيه)(L.Panier)، فضلاً عن لقاءاته النقدية، واشتراكه البحثي مع عدد من الباحثين في الحقل السيميائي الّسردي، وترجمته لمقالاتهم النقدية على غرار الباحثة (آن إينو)(A.Ainu)[3].

---

[1] ينظر مولاي علي بو خاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص20.

[2] ينظر حوار علي ملاحي مع عبد الحميد بورايو.

[3] ينظر كمال جدي: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، ص41.

ومن هؤلاء كذلك (السعيد بو طاجين)[*] الذي تحصل على دبلوم الدراسات المعمقة في السيمياء من جامعة السربون (باريس) سنة 1982.

- التحرج من خطاب البنيوية الذي وضع النص في قفص النص المغلق؛ فإذا كانت المقاربات البنيوية قد تعلقت بوهم النسق المغلق والتحليل المحايث، فإن المقاربات السيميائية استطاعت أن تتجاوز هذه الحدود الضيقة لترتقي بها إلى منزلة انبثق منها خطاب واصف، تمثلت وظيفته في البحث عن الأنساق السيميائية الدالة، بمستوياتها اللسانية وغير اللسانية، وهذه الأنساق لم تفصلها السيميائيات عن إطارها الاجتماعي العام، والملابسات التي أحاطت بنشأتها[1].

- سحر السيميائيات، ذلك أنها علم للعلوم؛ أي إبستمولوجية عامة وهو حدها الأعلى، أما حدها الأدنى فهو اللسانيات. لقد أصبحت السيميائيات حقلاً معرفياً موسوعياً جديداً، على غرار الحقول المعرفية الشمولية التي عرفها الفكر الإنساني كالفلسفة والتاريخ. وأضحى مفهوم العلامة السيميائية مفتاحاً معرفياً لولوج كل مجالات الدراسة والبحث،

---

[*] باحث جزائري في مجال النقد الأدبي وأستاذ بجامعة خنشلة، من مواليد 1958 بجيجل، متحصل على دكتوراه دولة في النقد الجديد (المصطلح النقدي والترجمة) بجامعة الجزائر 2007، عضو مؤسس لرابطة السيميائيين الجزائريين بجامعة سطيف 1998، ومخبر الترجمة بجامعة الجزائر 2004.

[1] ينظر أحمد يوسف: القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المحايثة)، (ط1)؛ 2003، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص115.

وذلك لما يتوفر عليه هذا المفهوم من قدرة على الوصف والتفسير والتجريد، ومايوفره من إمكانات للفهم والتحليل[1].ثم إن السيميائيات أحدثت تحولاً فاصلاً في النقد الأدبي بين النقد الحديث (قبل السيميائي) والنقد المعاصر (السيميائي)، وبهذا يكون النقد المعاصر سيميائياً في عموم نماذجه؛ ذلك أن النقد البلاغي سرعان ما تحول إلى نقد بنيوي سيميائي، وتحول كل من النقد الاجتماعي والنقد النفسي إلى نقد سوسيو نصي ونقد سيكو نصي، وصار النقد الموضوعاتي نقدا سيميائياً تأويلياً . كل هذه الاتجاهات في النقد الحديث تطورت واندمجت في الإطار الشامل لسيمياء الأدب[2].

3- الاتجاهات السيميائية المعتمدة:

يتقاسم الدراسات السيميائية الجزائرية اتجاهان أساسيان: السيميائيات الشكلانية، وسيميائيات (بيرس)، كما يشير (عبد الحميد بورايو)[3].

- السيميائيات الشكلانية (مدرسة باريس):

وتمثل أهم اتجاه ترسَّخ في دوائر البحث الأدبي في الجزائر؛ باعتبار احتكاك بعض الباحثين الجزائريين بكبار السيميائيين في باريس وعلى رأسهم (غريماس) (A.J.

---

[1] ينظر عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص9.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص10-107 وما بعدها.

[3] ينظر حوار دليلة قدور مع عبد الحميد بورايو، المنشور بصحيفة الأمة العربية (يومية إخبارية جزائرية مستقلة)، بتاريخ: 9/5/2009_ http://www.djazairess.com/eloumma/2643

Greimas)[*] وتلقيهم تكويناً بجامعة السربون، بالإضافة إلى العامل اللغوي المتمثل في إتقان الباحث الجزائري للغة الفرنسية، ممايسهل عليه التقرب من النظرية السيميائية في مظانها الأصلية، وترجمتها إلى العربية، وتبني مقولاتها النقدية.

تندرج سيميائيات مدرسة باريس – خاصة في بداياتها – ضمن التيار الشّكلاني البنيوي للسانيات (سوسير، يالمسليف)، ويعد (غريماس) الرائد الأول لها على صعيدي التنظير والتطبيق، من خلال رسمه معالم التصور الإبستمولوجي الذي يندرج تحته هذا الاتجاه، وأعماله التي لازالت تحافظ على بريقها[1]، والتي منها كتابه "الدلالة البنيوية" 1966، وفي المعنى 1و2 (1970–1983)، وقاموس السيميائيات بالاشتراك مع (جوزيف كورتيس) (J.Courtés) بجزئيه (1979–1986)، بالإضافة إلى مجموعة من الباحثين أمثال (جون كلود كوكي) (J.C.coquet) و(ميشال أريفي) (M.Arrivé) و(جاك فونتنيي) (J.Fontanille) وغيرهم.

كان مشروع (غريماس) يعتمد على بناء نظرية ومنهجية، تمكنان لا من تحليل علمي للغات والنصوص الأدبية فحسب، بل من تحليل علمي لأنساق الدلالات كلها، وبالتالي كان من المبادئ التي رعاها كل المشاركين في المشروع: التعاون بين

[*] سيميائي فرنسي من أصول ليتوانية، ولد بروسيا سنة 1917، وتوفي بباريس سنة 1992، مؤسس مدرسة باريس السيميائية، وأحد أهم أقطابها، اهتم لاحقاً بإعادة بناء الميتولوجيا الليتوانية بالاستناد إلى طرق (دوميزيل) و(كلود ليفي ستروس).

[1] من حوار علي ملاحي مع عبد الحميد بورايو.

الاختصاصيين بكل العلوم الإنسانية، والانفتاح على نظريات العلوم الدقيقة بما في ذلك الرياضيات، والانفتاح على حضارات العالم بقصد بناء نموذجية الحضارات[1]. وتستمد سيميائيات باريس عناصر قوتها من ثلاثة روافد: الاتجاه الشكلاني من خلال (فلاديمير بروب)(V.Popp)، واللسانيات البنيوية: (سوسير)، (يالمسليف)(L.Hjelmslev)، حلقة براغ، (جاكبسون)(R.Jakobson)، وعلم السرد[2].ويمثل هذا الاتجاه بامتياز في الجزائر كل من (عبد الحميد بورايو) و(رشيد بن مالك)، و(السعيد بوطاجين).

فالدراسات السيميائية التطبيقية للنصوص التراثية الشعبية لدى بورايو مشبعة بمورفولوجية بروب، وأغلب أدواته المنهجية مستمدة من المدرسة الغريماسية ذات التوجه الشكلاني والتي كانت لها اليد الطولى في تطوير السرديات[3]، واتجه تلميذه (رشيد بن مالك) الاتجاه نفسه من خلال جهوده في التأريخ لذات التوجه بالعودة إلى أصولها ومرجعياتها وأسسها ،وبتطبيق أدواتها الإجرائية على بعض القصص.كما اتخذ السعيد بوطاجين

---

[1] ينظر هايدي تويل: (المبادئ التي كان " غريماس " يبني عليها السيميائية، والنتائج المنهجية التي نجمت عنها) مقال منشور بكتاب: محاضرات الملتقى الدولي السادس للسيمياء والنص الأدبي، ص44-45.

[2] لمزيد من التفصيل، ينظر سعيد بوعيطة: المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية -غريماس نموذجاً - مجلة سمات الدولية، المجلد 1، العدد 45- 55 ماي (2013)، جامعة البحرين، ص48 وما بعدها.

[3] ينظر سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي،(د.رط)، 2009، دار سحر للنشر - تونس، ص327.

نظريات غريماس مرجعية وإجراءً في مثل كتابه "الاشتغال العاملي – دراسة سيميائية لرواية غداً يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة" وذلك واضح من خلال العنوان لما للاشتغال العاملي من صلة وثيقة بسيمياء السرد[1].

– سيميائيات (بيرس):

إن السيميائيات في تصور (بيرس)، ليست صنافة جامدة، تدرج أنواع العلامات في خانات قارة بشكل نهائي بل على العكس من ذلك، فهي ترد كل الأنساق إلى حركية الفعل الإنساني، وتجعل من الإنسان علامة وصانعاً للعلامة في آن واحد، ومن جهة ثانية تدرك العالم باعتباره كلية إذ لا فصل بين الواقع والفكر، إنها تساؤل حول المعنى وحول شروط إنتاجه وشروط تجليه[2].

ويمثل هذا الاتجاه في الجزائر كل من (أحمد يوسف)[*] و(أمينة بلعلى)[**] وغيرهما، فقد اجتهد كل منهما في تقديمها والتعريف بها. ولعل اتجاه (أحمد يوسف)

---

[1] ينظر سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي ، ص356–357.

[2] ينظر سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش.س.بورس)، ص28–30.

[*] باحث وأستاذ التعليم العالي في ميدان السيميائيات وتحليل الخطاب بجامعة وهران (الجزائر)، من مواليد 1960 بسيدي بلعباس متحصل على دكتوراه في الآداب 1999، وأخرى في الفلسفة 2004، مدير مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب.

[**] باحثة وأستاذة التعليم العالي بجامعة (مولود معمري) بتيزي وزو(الجزائر)، من مواليد 1961 ببرج بوعريريج (الجزائر) متحصلة على الدكتوراه بجامعة الجزائر 2000، مديرة مختبر تحليل الخطاب منذ 2003.

صوب سيميائيات (بيرس) ُعَلَّل باهتمامه بالفلسفة، ذلك أن هذا الاتجاه لا يستند إلى اللسانيات، بل إلى منطلقات فلسفية. وقد قدم الباحث تفصيلات لأسسه المعرفية الفلسفية من خلال كتابيه: "الدلالات المفتوحة –مقاربة سيميائية في فلسفة العلامات–" 1995، و"السيميائيات الواصفة–المنطق السيميائي وجبر العلامات–"1995.

والجدير بالذكر أن بعض السيميائين الجزائريين قام بالمزاوجة بين اتجاهين سيميائيين نحو (السعيد بو طاجين) الذي اهتم بالسيميائيات الشكلانية والتأويلية معاً، و(أحمد يوسف) الذي اعتمد سيميائيات (بيرس)والسيميائيات التأويلية أيضاً [1]، و(الطاهر رواينية)[*] الذي ينزع نحو التحليل السيميائي النصاني وكذا الاتجاه السيميائي السردي الذي يركز على المحتويات والدلالات[2].

في حين لم يلتزم باحثون آخرون باتجاه معين مثل (عبد الملك مرتاض) الذي صرَّح بذلك قائلاً :"[مذهبي السيميائي] يأبى أن يقلّد أحداً من السيَمائّيين، ولكن دون الخروج عن الخطّ العاّم لهذا الإجراء، فتحليلاتي السيمائّية للنصوص الأدبّية، شعراً وسرْداً ، ليست قريماسّية ولا بيرسّية، بل هي إبداع سيَمائّي هُيت إليه من خلال تعاملي

---

(1) ينظر حوار (علي ملاحي) مع (عبد الحميد بورايو).

(*) أستاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عنابة.

(2) ينظر: سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص307-312.

مع النصوص الأدبّية، ولكن انطلاقاً من النظرّية العا ّمة للسيَمائّية"[1]. وكذا (عبد القادر فيدوح) الذي لم يتقيد هو الآخر بمفهومات إجرائية محددة، أو بأدوات محددة لمدرسة معينة، إيماناً منه بأن النص الشعري لا حدود لدلالاته[2].

4- أبرز الجهود النظرية والتطبيقية:

إن قراءة متأنية لكثير من متون النقد السيميائي الجزائري الرائجة في الساحة النقدية، تبيِّن بوضوح أن خطابها مشدود في مستوياته النظرية والتطبيقية إلى مرجعية غربية خالصة، حيث ينَّكىء الباحث على شهادات واقتباسات من مصادر أجنبية؛ يحدوه في ذلك أمل الوصول إلى التأسيس لمنهجية نقدية أكثر تماسكاً ودقةً .

ولم يحصل هذا الانفتاح طفرة واحدة، بل مرَّ بمخاض عسير، جسَّدته مراحل متدرجة، تأرجحت بين الرفض والقبول، وبدأت بمحاولة التأسيس للنظرية من خلال التعريف بها وعرض أصولها أوَّلاً، ثم بسط مفاهيمها ومصطلحاتها ثانياً من خلال ترجمة بعضها، وتعريب بعضها الآخر، ثم القيام ببعض الممارسات التطبيقية وفق آلياتها، وبذلك لا يخرج النقد السيميائي الجزائري عن المسار الذي اتخذته السّيميائيات على المستوى المغاربي أو العربي عموماً .

---

[1] من مراسلة إلكترونية لي مع (عبد الملك مرتاض).

[2] ينظر فاتح علاق: التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، ص154.

أ- خطاب التأسيس والتنظير:

يعد الناقد (عبد الملك مرتاض) رائد الاتجاهات الجديدة في النقد الأدبي الجزائري[*]، وقد استطاع بحقٍّ بلورة منهج نقدي في تحليل الخطاب، يغترف من أصوله الغربية ويتكئ على التراث العربي. إن نظرة متفحصة في مقدمات كتبه تُؤكِّد أنه من أكثر النقاد العرب اهتماماً بالمنهج، ولا يكاد يخلو الواحد منها من مقدمة شافية تستوفي الإشكالية المنهجية حقها من البسط والتحليل[1].

والواقع أن كتبه تشكل مشروعاً نقدياً ضخماً، خاض في حقل اللسانيات والسّيميائيات والتّفكيكية، مرتكزاً على مبدأ التوفيق بين التراث والحداثة، والإيمان بانفتاح النص وتعددية القراءة للنص الواحد، والتحليل المركب الذي يسعى إلى الشمولية[2]. وأكثر تفصيل للموضوع سيكون في الفصل التالي المخصص لتوضيح جهوده على الصعيدين النظري والإجرائي.

---

[*] تحصل الناقد على دكتوراه الدولة في الأدب من جامعة السوربون في وقت مبكر (1983)، بإشراف (أندريه ميكائيل).

[1] ينظر طارق ثابت: عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي (المنهج السيميائي نموذجاً)، مجله الأثر، العدد 11، فيفري 2007، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة – الجزائر، ص204-205.

[2] ينظر عبد الملك مرتاض: ألف – ياء (تحليل مركب لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد)، ص25 وما بعدها.

ومن الرواد الذين اهتموا بنقل النظرية السيميائية إلى الجزائر (عبد الحميد بورايو)، إذ تتنزَّل أعماله النقدية –التي أسهم بها في تنشيط حركة النقد وتجديده في الجزائر – في سيا ق الدّراسات الحداثية التي يمَّمت شطر السَّرديَّات في مقاربتها للنصوص السرديَّة التراثية الشعبية.

قدَّم (عبد الحميد بورايو) في الدراسات التي أنجزها عروض نظرية ممهدة وشارحة، وذلك في مثل (التحليل السيميائي للخطاب السردي – دراسة من حكايات "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" (2003) الذي يتستهل فيه بمقدمة يضبط فيها أوليات منهجيته التحليلية، والتي تقوم في أساسها على ما يقترحه التحليل السيميائي للخطاب السردي، في إقامته لنماذج منطقية، تحكم البناء الشكلي للمسار السردي، ولانبثاق الدلالة[1]. غير أن الناقد يبرز في ميدان التطبيق أكثر.

إن النظرة المتفحصة في النقد السيميائي الجزائري، تؤكّد أن اليد الطُّولى في البحث في الأصول العلمية والمعرفية التي انبنت عليها النظرية السيميائية، ومساءلة أبعادها الفلسفية والإبستمولوجية التي تمكّن من استيعابها، تعود للباحثَيْن (رشيد بن مالك) و(أحمد يوسف)، فكلاهما كان يشعر بالحاجة الملحة إلى ضبط معالمها الأساسية لدرء

---

[1] ينظر: عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي – دراسة من حكايات "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، (د.رط)؛ 2003، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران – الجزائر، ص 6، وكذا قادة عقاق: تلقي المعرفة السيميائية في النقد المغاربي، محاضرات الملتقى الدولي السادس للسيمياء والنص الأدبي، ص73–74.

صعوبة استساغة نصوصها، والتي يعاني منها المتخصصون، فضلاً عن المبتدئين والهواة[1].

أما (رشيد بن مالك) فقد تلقى المعرفة السيميائية من مظانها ومنابعها الأصلية، وبطريقة مباشرة أثناء الفترة الدراسية التي قضاها بفرنسا على يد أعمدة النقد السيميائي، وبالأخص (غريماس)، وذلك ما أهَّله للتأريخ لها. ويُعَدُّ كتابه "مقدمة في السيميائية السردية" (2000)، من بين أبرز المؤلفات التي تنزع منزع التأصيل والتأسيس؛ عبر ردها إلى أصولها الأولى، وتفحص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول، ثم التعرف على مدى التطور الذي لحقها، بعد نقلها من بيئتها الأولى، واستثمارها من قِبل نظريات أخرى[2].

فقد تعرض الباحث في القسم النظري من الكتاب إلى بسط الأصول اللسانية والشكلانية التي أسهمت في بلورة النظرية السيميائية (نظرية غريماس)، محدِّداً الدعم المنهجي الذي قدمته اللسانيات للسيميائيات، من مثل بعض المصطلحات والمفاهيم التي نُقلت من الحقل الأول إلى الثاني. كما تقصى الأصول الشكلانية للنظرية السيميائية،

---

[1] وذناني بوداود: خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، ص7.

[2] سحنين علي: السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية، ص6.

كخلفية معرفية أثْرتْ المشروع السردي الغريماسي، بتتبع التوجه الشكلاني الروسي العام، ثم النموذج البروبي[1].

كما يُعدُّ كتابه "البنية السردية في النظرية السيميائية" (2001) امتداداً لمشروعه النقدي السيميائي؛ وذلك من حيث الإطار المنهجي العام الذي يرتكز أساساً على التدقيق في المفاهيم والأدوات النظرية والاشتغال على المصطلح السيميائي؛ حيث قام الباحث بعرض جملة من القضايا المتعلقة بالبنية السردية مثل مفهوم الحالة والتحويل، والعلاقة بين الفاعل والموضوع وغيرها[2].

وأما (أحمد يوسف)، فقد تبلور الخطاب التأسيسي لديه من فرضية مفادها أن السيميائيات جهاز مفاهيمي معرفي، يمتد بجذوره في الإرث المعرفي الإنساني، منذ أن بدأ الإنسان يعي ويفكّر، وأن مفهوم العلامة ليس حكراً على ميدان اللسانيات، ولا حتى على السيميائيات، إنما يضرب في تاريخ التفكير الفلسفي بجميع مشاربه الثقافية[3]؛ لذلك نجده يتتبع –في أعماله المعرفية –السيميائية في أصولها الأولى، والوقوف على أهم المحطات التي كان لها التأثير المباشر على السيميائيات الحديثة، وقد جسَّد عمله هذا من خلال

---

[1] رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائيات السردية (د.رط)؛ 2000، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص5–7 وما بعدها، 28 وما بعدها.

[2] ينظر سحنين علي: السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية ، ص61–63.

[3] ينظر أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، (ط1)؛ 2005، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص9 وما بعدها.

مؤلفيه: "السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)" 1995، و"الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)" 1995 متَّبعاً منهجاً يقوم على مناقشة المقولات الفلسفية التي تناولت العلامة وفلسفة اللغة قديماً وحديثاً، والعمل على ربط السيميائيات الحديثة بأصولها الفلسفية والفكرية[1].

ب- خطاب الترجمة والتعريب

أقدم بعض الباحثين الجزائريين على ترجمة كتب ونصوص من النظرية السيميائية، سعياً منهم لإثراء مشاريعهم النقدية، ومواكبة المستجدات والراهن النقدي الغربي، وخدمة القارئ العربي، نحو (عبد الحميد بورايو) و(رشيد بن مالك).

فقد اشتغل (عبد الحميد بورايو) على ترجمة كتاب (برنار فاليت) (Bernard Fhtalate): "الرواية – مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي"، الذي نشرته دار الحكمة سنة (2002)، ويأتي الكتاب مندرجاً ضمن سلسلة تضم دراسات مختلفة، موجهة لطلبة الجامعة بغرض تعريفهم بأهم النتائج التي عرفها تطور البحث في العلوم الإنسانية، وفي الدراسة الأدبية، مستوعباً أهم منجزات التحليل الروائي، وشاملاً مختلف المعالجات النقدية على اختلاف مناهجها، والتي منها المعالجة السيميائية[2].

---

[1] وذناني بوداود: خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، ص9.

[2] برنار فاليت: الرواية – مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، تر: عبد الحميد بورايو، (د.رط)؛ 2002، دار الحكمة، الجزائر، ص4.

أما عن هدف المُترجِم نفسه، فقد كان توخي فتح نافذة على ماتوصلت إليه جهود البحث الموجه – بصفة خاصة – لجمهور الطلبة والدارسين المتخصصين في البحث الأدبي، وكذا المساهمة في وصل البحث الأدبي باللغة العربية بنظيره في البلاد الأخرى، والعمل على نشر الوعي النقدي وإثراء المعاف والمفاهيم المنهجية والاصطلاحية وتقديم نموذج للتأليف المُدَعِّم للنشاط التعليمي[1]. وذلك ما عُوف (بورايو) بالاهتمام به.

وإلى جانب هذا، قدم الباحث ذاته ترجمة لكتاب "مدخل إلى السيميوطيقا–نص/ صورة" لمجموعة من المؤلفين (1995)، ولبعض القراءات السيميائية الغربية نحو تلك التي قدمها (جورج موراند) (George Maurand) بعنوان: "الغراب والثعلب (مقاربة سردية– خطابية)"[2].

وقد عمل الباحث (رشيد بن مالك) على ترجمة نصوص في النظرية السيميائية (نظرية غريماس) ضمنها مؤلفه الضخم: (السيميائية: الأصول، القواعد والتاريخ) الصادر سنة (2008). وتتضمن هذه الدراسة ست ترجمات متنوعة لنصوص في النظرية السيميائية، موزَّعة على ستة أبواب؛[3] أما الباب الأول فهو ترجمة لكتاب تاريخ السيميائية

---

[1] برنار فاليت: الرواية – مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي ، ص5–6.

[2] ينظر: محاضرات الملتقى الدولي الثالث للسيمياء والنص الأدبي،(د.رط)، أفريل 2004، جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر.

[3] ينظر سحنين علي: السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة (رشيد بن مالك)النقدية، ص63–66.

للباحثة الفرنسية (آن إينو)(A.Ainu)، الذي تعرض فيه المسار التاريخي للتفكير السيميائي الأوروبي[1] وأما الثاني فقد خصصه الناقد لترجمة نص (السيميائية الأدبية) (لميشال أريفيه)(M.Arrivé)، والذي يطرح قضايا من مثل إشكالية تعدد المصطلحات، والاختلافات المنهجية والمصطلحية بين النقاد المعاصرين وغير ذلك[2] وقد خصص الباب الثالث لترجمة نص(السيميائية نظرية لتحليل الخطاب) (لجان كلود جيرو)(J.C.Garou) و (ولوي بانيه)(L.Panier)، ويتضمن أهم القضايا والمبادئ الأساسية التي يقوم عليها التحليل السيميائي[3].

وقد خصص الباب الرابع لترجمة دراسة تطبيقية للباحث (جوزيف كورتيس)(J.Courtés) بعنوان: "التحليل السيميائي للخطاب: التشاكل والترابط بين التعبير والمضمون–الموكب الجنائزي)" بالاشتراك مع أستاذه (عبد الحميد بورايو). وتحاول هذه الدراسة التطبيقية –كما يقول المترجمان– أن تسخر النظرية السيميائية لفهم وتأويل الظواهر النصيةوالاجتماعية بموصفها مجموعات دالة يُ تطلب إدراكها وبناء عناصرها من الداخل، والاطلاع على الآلية التي تحكمها[4].

---

[1] ينظر آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)، ص 63 ومابعدها .

[2] ينظر المرجع نفسه، ص195 وما بعدها.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص227 وما بعدها.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص20.

ثم جاء الباب الخامس ترجمة لنص (السيميائية: مدرسة باريس) (لجان كلود كوكي)(J.C.Coquet)، ويتناول رصداً لأهم الإنجازات التي حققتها مدرسة باريس السيميائية،[1] في حين يخصص الباحث آخر باب لترجمة نص (السيرة الذاتية والعلمية لغريماس)[2] ولهذا المجهود الذي قام به (رشيد بن مالك) أهمية علمية بالغة ومكانة متميزة في الوسط النقدي السيميائي الجزائري والعربي؛ إذ يعد الكتاب مرجعاً علمياً مهما للأساتذة والباحثين والطلبة في ذات الاختصاص.

وفي إطار محاولته لإيجاد حلٍّ للإشكالية المصطلحية والترجميَّة السيميائية، ووضع حد للاضطرابات والفوضى المصطلحية التي ميزت الترجمات العربية، وضع (رشيد بن مالك) قاموساً يضبط مصطلحات التحليل السردي السيميائي في توجهه الغريماسي معنون بـ (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) (عربي، إنجليزي، فرنسي) (2000)، يشتمل على أكثر من ثمانمائة مادة، مرتبة ترتيباً ألفبائياً، وقد اعتمد الباحث في تأليفه على مجموعة من الأعمال الرائدة في هذا المجال، وفي مقدمتها (القاموس السيميائي المعقلن لغريماس وكورتيس)[3].

---

[1] ينظر آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)، ص259 وما بعدها.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص345 وما بعدها.

[3] ينظر سحنين علي: السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة (رشيد بن مالك)النقدية، ص67-70.

ويندرج القاموس ضمن استراتيجية البحث السيميائي التي حدَّدتها رابطة السيميائيين الجزائريين التي تأسست في جامعة سطيف سنة(1998)، –وهو أحد مؤسسيها– التي ترمي إلى جملة من الأهداف، منها ترجمة المفاهيم والأبحاث السيميائية إلى اللغة العربية[1].

وبغض النظر عن الجانب الكيفي، تبقى هذا الجهود ضئيلة جداً مقارنة مع الجهود الترجمية في دول المغرب الشقيقة أو في العالم العربي عموماً، فواقع الترجمة في الجزائر لا يبشر بالخير– رغم احتضانها للمعهد العالي العربي للترجمة، ووجود معاهد متخصصة بالترجمة في الجامعة – في ظل غياب قانون أساسي للترجمة، ويؤكد المختصون على ضرورة بعث هيئة وطنية تعنى بالترجمة، وتسطر سياسة واستراتيجية تعنى بهذا الأمر –على غرار ما هو موجود في بعض الدول العربية– ثم مراعاة التنسيق بين الهيئآت العربية والإقليمية[2].

ج– خطاب الممارسة التطبيقية:

نشير فيما يلي إلى أبرز المقاربات السيميائية الجزائرية؛ في حدود ما يسمح به الزمن المحدد للبحث، والمراجع المتوفرة أيضاً، على أن نترك الحديث عن دراسات (عبد الملك مرتاض)إلى المبحث المخصص له، فيما يأتي من البحث، درءاً للتّكرار.

---

[1] ينظر سحنين علي: السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة (رشيد بن مالك)النقدية ، ص68.

[2] عبد الحميد بورايو وسعيد بو طاجين وآخرون: أزمة الترجمة في الجزائر بالأمس واليوم، الأكاديمية الجزائرية للترجمة، http://atadz.net/2014/05/11.

ترك (عبد الحميد بورايو) مجموعة هامة من الدراسات النقدية السيميائية، التي شكلت نماذج للتحليل السّيميائي للخطاب السردي بالنسبة للطلبة والباحثين الأكاديميين، بداية بكتابه "الحكايات الخرافية للمغرب العربي (دراسة تحليلية في معنى المعنى" (1992)، ثم أطروحته للدكتوراه: "المسار السردي وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة (1995-1996) - ولازالت مخطوطاً - ثم كتابه "البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري" (1998) ثم مؤلفه "التحليل السيميائي للخطاب السردي" (2003).

وما ذكرنا من مؤلفاته وغيرها لا يُدرك كله في هذا الموضع؛ لذلك اخترنا أن نتحدث عن رسالة الدكتوراه خاصته، وهي دراسة تتوزع على ستة فصول تحليلية، بعدد الحكايات التي اختارها الباحث من (ألف ليلة وليلة)، ويتصدر هذه الفصول مدخل وسمه "بتحديد المدونة والإشكالية والمنهج". وتتحرك الدراسة في إطار منهجي حدده الناقد بشكل دقيق منذ البداية، وهو المدرسة الغريماسية ذات التوجه الشكلاني، والتي كانت لها اليد الطولى في تطوير السرديات[1].

أما الخطوات التي اتبعها في تحليله للنصوص المنتقاة، فهي واحدة تستند على تفكيك مقاطع البنيات السطحية للخطاب، والعلاقات التي تنتظم نسيج النص الخارجي أولاً، ثم تقطيع البنى العميقة المولدة للبنى السّطحية إلى وحدات دلالية صغرى؛ وذلك

[1] ينظر سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص327.

بهدف رصد الخصائص المشتركة المميزة لهذه النصوص أولاً، ثم الوقوف على الكيفية التي تشكلت بها المعاني الأولى، وصولاً إلى تجسيدها في تجلٍّ خطابّي سرديّ. وجعل آخر خطوة هي وضع ترسيمات شاملة تجسد البرنامج السردي لجميع الحكايات[1].

أما (رشيد بن مالك) فتتنزل تجربته التطبيقية على النصوص السردية التراثية والحداثية ضمن محاولة لاستعراض صلاحية النموذج السيميائي الغريماسي في مقاربة النص السّردي، بداية بدراسته السّيميائية للفضاء في رواية (ريح الجنوب) (لعبد الحميد بن هدوقة)[2]، وبعدها طُرحت رواية "نوار اللوز" (لواسيني الأعرج) كمدونة اشتغل عليها في أطروحته الأكاديمية (1994-1995)، ثم برز تحليله السيميائي لقصتي "العروس" (لغسان كنفاني) وعائشة" (لأحمد رضا حوحو) اللّتين ضمَّنهما كتابه: "مقدمة في السيميائية السردية (2000)، ثم قراءته السيميائية في كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغّمة" (للمقريزي)[3]. ثم قراءته في كتاب "كليلة ودمنة" (لعبد الله ابن المقفع) التي اشتمل عليها مؤلفه: "السيميائيات السردية" (2006)، وكذا قراءته في رواية "الصحن" (لسميحة خريس)[4].

---

[1] ينظر سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي ، ص327-331.

[2] ذُشرت بمجلة اللغة والأدب، ع 13، جامعة الجزائر، 1998، ص39.

[3] ذُشرت بالمجلة نفسها، ع 15، أفريل 2001، ص251.

[4] ذُشرت بمجلة علامات، ع 26، مكناس – المغرب، 2006، ص51.

أما أطروحتهللدكتوراه في جانبها التّطبيقي، فقد عالج فيها سيميائية العنوان –في رواية "ثوار اللّوز"– والبنية السردية وتحليلاتها الدّلالية، والشخصيات وتصنيفها وتأطير تركيبتها الشّكلية والدلالية، وكادت مرجعيته أن تقتصر على (غريماس) و(كورتيس) و(هامون)(F.Hamoun) وجماعة (أنتروفرن)(*).[1]

وأما عن قراءته لكتاب "إغاثة الأمّة" فتدخل في إطار القراءة الجديدة للنص التراثي العربي القديم وتجديد الوعي به، وفق أدوات منهجية حديثة. وقد التزم الباحث بخطة منهجية تنطلق من القراءة المتأملة للنص بالاشتغال على المعاجم العربية، وضبط المسارات الدلالية للوحدات المعجمية، وحاول أثناء ذلك حصر المستويات الدلالية وضبط النص في إطارين أساسيين: توصل في الأول إلى إدراك البعد التلفظي بظبط الهيئة اللافظة ومقاصدها في مقاربة ظاهرة المجاعات في مصر، وحلّل في الثاني البرامج السّردية بالاستعانة بمجموعة من الرسومات والجداول التوضيحّية. وخلص الباحث في

(*) تتكون جماعة "أنتروفرن" (Groupe d'entrevernes) من سيميولوجيين ودارسين للكتاب المقدس. وقد أسَّست بمدينة ليون الفرنسية مركزا من أجل تحليل الخطاب الديني. ثم نشرت كتابا هو عبارة عن تطوير لسلسلة من المقالات، بين 1976 و1978. ألّف الكتاب (جان كلود جيرو) (Jean–Claude Giroud) و(لويس بانيي) (Louis Panier)، عنوان هذا الكتاب هو: "تحليل سيميولوجي للنصوص.

[1] ينظر: سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص326.

الأخير – من خلال المربع السيميائي – إلى ضبط البنية الدلالية العميقة لخطاب (المقريزي) الذي يعكس الصراع بين الدولة وفئآت المجتمع المحرومة[1].

ومن الدراسات الرائدة في التحليل السيميائي للخطاب السردي، نجد قراءة الباحث (صالح مفقودة)[**] المعنونة "بالرفض والهيمنة السردية في رواية (ليليات امرأة آرق) – للروائي رشيد بوجدرة"، والتي نشرها في "مجلة التبيين" سنة (1998). يستفتح الباحث دراسته بتناول موقف رفض المرأة لبعض الظواهر والرؤى التي تسلط عليها من المحيط، والتي يركز عليها الروائي، ثم ينتقل إلى إبراز هيمنة السارد الداخلي في "الليليات"؛ إذ تتكون الرواية من ستِّ ليالٍ تحكي عن هموم المرأة من خلال الحديث عن جانب خفي في حياة البطلة التي تتكلم بضمير المُخاطِب، وتسيطر على السرد الروائي، فتتحول إلى شخصية داخل الحكي، ويستعرض الكاتب – خلال ذلك – شخصيات الرواية[2].

ومن تلك الدراسات الرائدة كذلك، رسالة الدكتوراه التي قدمها عبد القادر فيدوح في (1993)، الموسومة "بدلائلية النص الأدبي (دراسة سيميائية في الشعر العربي المعاصر)" التي اشتغل فيها على نموذج من الشعر الجزائري القديم وهو "القصيدة النونية"

---

[1] ينظر: علي سحنين: النص التراثي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة (رشيد بن مالك نموذجا)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع 5، أفريل 2014، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي بتامنراست – الجزائر، ص68–69.

[**] عميد كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر ببسكرة– حالياً – الجزائر.

[2] صالح مفقودة: الرفض والهيمنة السردية في رواية (ليليات امرأة آرق) – للروائي رشيد بوجدرة، مجلة التبيين، ع 13–14، 1998، الجزائر، ص39 وما بعدها.

للشاعر (بكر بن حماد) ونماذج أخرى من الشعر الجزائري المعاصر، أطلق عليها اسم الأقلام الغضّة[1]. ولم يتقيد في دراسته بإجراءات محددة لمدرسة سيميائية معينة، محاولاً فك رموز المدونة بإجراءات تستند إلى رصيد معرفي، وخبرات قرائية متنوعة، ضمن مناخ استفهامي تساؤلي يرفض منطق الجواب[2].

ومن الأسماء السيميائية الجزائرية التي قدمت إسهامات معتبرة (حسين خمري)[*]، من أبرزها دراسته المطولة "سيميائية الخطاب الروائي"، التي نشرها في مجلة تجليات الحداثة" (1994)، تعرض من خلالها لرواية "صوت الكهف" (لعبد الملك مرتاض). وقد أفادت الدراسة منهجياً ومصطلحياً من طروحات (غريماس) و(كورتيس) و(بروب)، وتقصّت سمات (الصوت / الكهف) وغيرهما، والسرد والشخوص والأمكنة والأحداث في تدرجها على سلّم (بروب) في إطار الوظائف الحكائية، كما تتبع السمات الجديدة للرواية[3].

---

(1) ينظر مختار ملاس: التجربة السيميائية العربية في نقد الشعر، ص126-127.

(2) ينظر فاتح علاق: التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، ص154.

(*) ناقد وأستاذ بجامعة منتوري بقسنطينة، سبقت له دراسة رائدة (ماتبقى لكم – العنوان والدلالات) التي أسست لعلم العنوان في الخطاب النقدي الجزائري، نشرها في مجلة الموقف الأدبي، ع 215 – 216، 1989،دمشق – سورية، ص70.

(3) ينظر يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللاّ نسونية إلى الألسنية) (د.رط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص137-138.

ومن ذلك أيضاً رسالة الدكتوراه التي قدمها الباحث (الطاهر روابنية) المعنونة "بسرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد (مقاربة نصانية نظرية تطبيقية في آليات المحكي الروائي) "(1999- 2000). اعتمد في دراسته منهجاً يستند إلى نظرية المحكي وما أنجزته السّرديات في هذا المجال، بالمزاوجة بين الشّكلانية والتّأويلية، واشتملت الدراسة على ثلاثة فصول تطبيقية، خصصت لتحليل الشخصية والفضاء الروائي والزمن الروائي[1].

كما قدّم الباحث (السّعيد بوطاجين) دراسة جادة في ذات المجال، وسمها " بالاشتغال العاملي (دراسة سيميائية لرواية غداً يوم جديد – لعبد الحميد بن هدوقة)" (2000)، التي يتضح من خلال العنوان صلتها الوثيقة بسيمياءالسّرد، فقد اتخذ نظريات (غريماس) مرجعية وإجراءاً، فيماهو موصول بالعامل، وقدَّم قراءة مفصلة للترسيمة العاملية، وبين كيفية اشتغال العوامل واشتغالها، والوضعيات التي تحتلها من منظور النحو السردي[2].

---

[1] ينظر سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص306-308.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص356-359. وكذا حميدي بلعباس: القراءة السيميائية في النقد الأدبي الجزائري، مجلة علوم اللسان، ع1، 2012، مخبر علوم اللسان بكلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط – الجزائر، ص173 وما بعدها.

د- المؤسسات والمخابر الجامعية والمجلات:

اعتمدت بعض المؤسسات والمخابر الجامعية بالجزائر على تخصيص ملتقى سنوي لمطارحة الفكر السيميائي على المستويين النظري والتطبيقي، ومن ذلك مختبر السيمياء وتحليل الخطاب الذي يترأسه (رشيد بن مالك)، والملتقى الدوري الذي يقام سنوياً بجامعة (محمد خيضر) ببسكرة، والموسوم بالسيمياء والنص الأدبي، والذي تجمع أشغاله ضمن كتاب تصدره الجامعة عِقب كل ملتقى، وآخر ملتقى نظمته الجامعة – حتى الآن – كان في 29-31 أكتوبر 2013، وهو السابع في الترتيب.

ومن المجلات السيميائية الجزائرية، مجلة (أيقونات) التي تصدر عن رابطة " سيما " للبحوث السيميائية، بإدارة (عبد القادر فهيم شيباني)، ومجلة (بحوث سيميائية) ويصدرها مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، ويديرها (رشيد بن مالك).

تحتوي هذه المجلات على مئات القراءات والبحوث السّيميائية، ولا يخفى ما لهذه المجهودات من دور بارز في تطور البحث السيميائي بالجزائر.

وبالرغم من ذلك تظل النتائج التي قدّمتها الممارسة السيميائية في الجزائر غير كافية؛ فهي لازالت على عتبة السيميائيات، منشغلة بالمداخل، ومكّرسة للمرحلة الأولى من تطّور البحث السيميائي؛ حيث اكتفى السيميائيون الجزائريون بنقل مبادئ السيميائيات، وحاولوا تقديم بعض التطبيقات، غير أن مساعيهم ظلّت ذات أهداف تعريفية

وتعليمية بحثة، تنقصها الروح الإبداعية، وهو ما يحتاج إلى تمثّل أعمق ومعرفة أوسع بأسسها الفكرية، وخلفياتها المعرفية ومختلف تياراتها المطّبقة في العالم. في الوقت الذي نجدها قد عرفت تطّوراً كبيراً في البلاد الأخرى، من حيث المفاهيم ومعالجة القضايا الأدبية. فتطورها في الجزائر مرهون بتطور البحث العلمي والدرس الأدبي، من حيث النوع خاصة[1].

ومن الآفاق التي تسعى إليها الممارسة السّيميائية في الجزائر، تكثيف حضور السيميائيات في المسرح –باعتباره مجموعة من العلامات والّرموز المستخدمة لأداء رسالة– وتطوير النقد السينيمائي بإدراج الفن السابع في معاهد الفنون والآداب، وكذا إنشاء المعهد العالي للسينما، وذلك ما ينادي به (عبد الحميد بورايو)[2].

[1] من حوار لعلي ملاحي مع عبد الحميد بورايو.

[2] ينظر حوار دليلة قدور مع عبد الحميد بورايو.

الفصـــــل الثالث

(الجهـــــود السيميائيـــــة

عند عبد الملك مرتاض)

1- الجانب النظري:

نحاول في القسم الأول من هذا الفصل الكشف عن جهود (عبد الملك مرتاض) في التنظير للقراءة السيميائية من خلال مصنفاته، في إطار ما يعرف بتحليل الخطاب، بمختلف أنواعه: القديم والحديث والمعاصر، الشعري والنثري، الفصيح والشعبي، الديني والدنيوي، على مستويي المنهج والمصطلح. ونعرض قبل ذلك روافد التكوين المعرفي للناقد التراثية والحداثية، ومصادره السيميائية.

1.1- التكوين المعرفي للناقد "الأستاذ الدكتور (عبد الملك مرتاض)":

أ- حياته وتعلمه:

ولد (عبد الملك مرتاض) في العاشر من يناير (1935) ببلدة "مسيردة العليا" بتلمسان، حفظ القرآن وتعلم مبادئ الفقه والنحو في كتاب والده، بقرية "الخُماس".

- التحق في أكتوبر من عام (1954) بمعهد (ابن باديس) بقسنطينة، ودرس به ما يقارب الخمسة أشهر، نظراً للمضايقات التي تعرض لها المعهد من السلطات الفرنسية بعد اندلاع الثورة.

- التحق بجامع "القرويين" (بفاس-المغرب) في (1955)، وقطن بالمدرسة "البوعنانية" في الطالعة الكبرى "بفاس" القديمة[1].

---

[1] عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية (مراسلة عبر البريد الإلكتروني) mortadabdelmalek@gmail.com

– نال شهادة البكالوريا (بتطوان–المغرب) (1960)، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة (الرباط–المغرب)، وسجل بذات الجامعة في كلية الحقوق والعلوم السياسية، ومعهد العلوم الاجتماعية في (1960)، وتخرج منها في (1963) على رأس دفعته.

– التحق بالمدرسة العليا للأساتذة (بالرباط) في (1961)، وتخرج منها في (1963)، متحصلاً على المرتبة الأولى

– نال درجة دكتوراه الطور الثالث في الآداب من جامعة الجزائر في مارس(1970) –وهي أول درجة علمية تمنحها الجامعة على عهد الاستقلال– بموضوع: (فن المقامات في الأدب العربي) بإشراف (إحسان النص) ومناقشة (الطاهر مكي).

– نال درجة دكتوراه الدولة في الآداب بمرتبة الشرف من جامعة "السوربون" الثالثة بباريس، في (1983)، بإشراف (أندري ميكائيل)(A.Mickaél) بموضوع: "أجناس النثر الأدبي في الجزائر" (1931–1954)[1].

ب– أهم المناصب التي تقلدها وإسهاماته:

– في (1963) عيّن مستشاراً تربوياً للمدارس الابتدائية بمدينة (وهران)، ولم يلبث أن استقال والتحق بالتعليم الثانوي؛ حيث ظل يعمل به مدرِّساً للغة العربية إلى غاية سبتمبر من سنة (1970).

– في (1970) عيّن مدرّساً للأدب العربي بجامعة (وهران).

[1] عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية (مراسلة عبر البريد الإلكتروني).

– في (1974) عين مديراً لمعهد اللغة العربية وآدابها، لدى استحداثه لأول مرة بجامعة (وهران).

– في (1975) انتخب رئيساً لفرع اتحاد الكتاب الجزائريين بولايات الغرب الجزائري.

– في (1986)رقّي إلى درجة أستاذ كرسي بجامعة (وهران).

– في (1989) أصبح رئيساً لوحدة البحث في اللغة والأدب العربي بجامعة (وهران).

– في (1990) أصبح رئيساً للمجلس العلمي بمعهد اللغة العربية وآدابها بالجامعة نفسها.

– في (1994) عين عضواً في اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم العالي بالجزائر.

– في (1998) عين عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى للدولة الجزائرية، ورئيساً للمجمع اللغوي الجزائري.

– أسهم في مؤتمرات الأدباء العرب المنعقدة بالجزائر، وفي ندوات أدبية وثقافية بالولايات المتحدة الأمريكية (جامعة رتجرس) وبالاتحاد السوفياتي (سابقاَ)، ويوغوسلافيا (سابقاً) وفرنسا، والكثير من الدول العربية[1].

[1] عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية (مراسلة عبر البريد الإلكتروني).

– أشرف على ما يقارب الخمسين أطروحة (ماجستير ودكتوراه دولة)، وناقش زهاء أربعين أطروحة في جامعات وهران، الجزائر، تلمسان، باتنة، قسنطينة، عنابة، وصنعاء. ونشر في معظمالعواصم العربية والمدن الثقافية مغرباً ومشرقاً .

–قُررت كتبه ومقالاته المنشورة في بعض المجلات المحكمة لطلاب الدراسات العليا في جامعات عربية مثل جامعة نواكشوط (بنية الخطاب الشعري) وتونس(فن المقامة في الأدب العربي) وصنعاء (النص الأدبي من أين وإلى أين؟) وبعض الجامعات الأردنية (السبع المعلقات)، وجامعات جزائرية.

– له ما يقارب خمسة وخمسين عملاً في النقد والتحليل، وثلاثة عشر عملاً إبداعياً سردياً (روايات وقصص) واثني عشر عملاً بالاشتراك مع مؤلفين آخرين، وحوالي مائة وستة وثلاثين دراسة ومقالة منشورة بالدوريات، وثمانية وعشرين مقابلة أدبية وصحفية نشرت بالمجلات، وتسعة وثلاثين مقابلة نشرت بالصحف اليومية والأسبوعية، ناهيك عن المقابلات التي بُثَّت على التلفزة وبالإذاعات[1].

– اختير حَكماً علمياً لقراءة كثير من الدراسات والبحوث العلمية لترقية جملة من الأساتذة الجامعيين بجامعات الرياض الأردن والإمارات وصنعاء وغيرها، كما اختير حكماً

[1] عبد الملك مرتاض: عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية

لقراءة بحوث لمجلات محكمة مثل (عالم الفكر) الكويتية، والمجلة الأردنية للغة العربية وآدابها، ومجلة (ثقافات) البحرينية وغيرها[1].

ج- روافد تكوينه:

إن المطّلع على أعمال (عبد الملك مرتاض) ، والمتتّبع لمساراته الكتابية واتجاهه العام في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم التراثية والحضارية، يلمس الروافد التي تقف وراء تجربته الإبداعية والنقدية، والمتمثلة في نشأته والظروف التي ترعرع فيها، ثم المنطلقات الفكرية التي استمدّ منها أفكاره، ومواد كتبه وأسلوبه ولغته، ويمكن تصنيفها ضمن رافدين: التراث والحداثة[2].

- **الروافد التراثية:**

كان للبيئة الدينية والاجتماعية التي نشأ فيها (عبد الملك مرتاض) الدور الرئيسي في تشّبعه بالثقافة العربية الإسلامية؛ حيث حفظ القرآن في سن مبكرة في كُتَّاب والده، وختمه وهو لّما يبلغ الخامسة عشرة بعُد، وأدرك الكثير من أحكامه وتوجيهاته. وأول شيوخه كان والده الفقيه الشيخ (الحاج عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب) الذي حفّظه القرآن وعلّمه مبادئ العربية، إذ دارس معه الآجّرومية، والفقه المالكي من خلال كتاب

(1) عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية.

(2) ينظر: مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص247.

"المرشد المعين من علوم الّدين" (لعبد الواحد بن عاشر)[1]. كما حفظ مقادير لا بأس بها من المقامات والرسائل والخطب وأحاديث الأعراب، وقصائد الفحول ومقطّعات الأرجاز[2].

وخلال دراسته بمعهد (عبد الحميد بن باديس)، ثم الفترة التي قضاها بجامعة (الرباط) بالمغرب، أفاد من الدروس التي كان يقّمها كبار الأساتذة أمثال الأديب (أحمد بن ذياب) من الجزائر –وكان قد درّسه بالمعهد– و(عبد الرحمن الحاج صالح) من الجزائر، و(نجيب محمد البهبيتي) من مصر، والعلاّمة (محمد الفاسي) و(جعفر الكتاني) من المغرب، وهؤلاء كانوا قد درّسوه بجامعة الرباط[3].

ولا شكّ أن الفترة التي قضاها بالتدريس في مراحل التعليم الثانوي المختلفة، كانت قد يسّوت له الاطلاع على خبايا اللغة العربية وآدابها، والإحاطة بقواعدها على مدار اثنين وأربعين عاماً، وللعربية مالها من أثر في الاتصال بتراث الأمة، وإحياء منهج السلف الصالح واقتفاء أثرهم، ويقظة الفكر[4].

وقد حمله دافع تأثره البالغ بالتراث أن يختار موضوع أطروحته منه: (فن المقامات في الأدب العربي) بالإضافة إلى دراساته العديدة المنوطة به، مثل (القصة في

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية.

[2] ينظر عبد الملك مرتاض: (هل الحداثة فتنة)، مقال منشور بمجلة المنهل، ع517، المجلد 56، 1994، السعودية، ص115.

[3] عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية.

[4] مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص249.

الأدب العربي القديم) (1968)، و(الأدب الجزائري القديم – دراسة في الجذور) (2000) وغيرها، وذلك ما يدفعه إلى الاطلاع الواسع على مظانه.

وقد حظي بتكوين بلاغي متين، من خلال اطلاعه على أمهات الكتب البلاغية، حيث أقبل على قراءات متعددة في شروحات علماء اللغة وكتب البلاغيين، أمثال (ابن سلام الجمحي) و(الآمدي)، و(ابن قتيبة)، (وابن رشيق) وغيرهم.كما أبدى إعجاباً كبيراً بكُتّابٍ عرب محدثين اتصلت كتاباتهم بالتراث العربي وإشراقاته، أمثال (مصطفى صادق الرافعي) و(المنفلوطي) و(محمد البشير الإبراهيمي)، إذ كان يحفظ أطرافاً من كتاباتهم[1]. ولم يكن هذا التراث ليترك بصماته في كتاباته لو لم يجد في شخصيته أبعاده المفهومية.

- **الروافد الحداثية:**

وهو الرافد الذي عرف من خلاله الباحث الحداثة الغربية وأعلامها، إما بالاحتكاك ببعضهم، أو بقراءة كتبهم والبحث أسس وأصول منطلقاتهم الفكرية –ولاسيما الفرنسيين–ويقول في هذا الصدد: "إن قصتي مع المكونات الغربية، ابتدأت بمنهجية ووعي منذ عشرين عاماً بالتحديد؛ أي منذ أن تعرّفت شخصياً على أستاذي (أندريه ميكائيل)، المستشرق الفرنسي المعروف، والذي تعلمت منه في جلسات قصار (بالكوليج)

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (القراءة وقراءة القراءة _ خوض في إشكالية المفهوم)، مجلة علامات، الجزء 15، المجلد 14، 1994، جدة–السعودية، ص12. وكذا: مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص249.

"دي فرانس"كثيراً من العلم، وكثيراً من التأصيل المنهجي خصوصاً، وقد جعلتني هذه السيرة أعيد النظر في ترتيب أوراقي" [1].

وقد دعاه أستاذه إلى الاحتكاك بأساتذة فرنسيين آخرين والاطلاع على إسهاماتهم الفكرية، مثل (بارط)(R.Barthes) و(غريماس) و(تودوروف)(T.Todorov) و(جان كوهين)(J.Cohen) و(وموريس بلانشو)(M.Blanchot) و(شترواوس)(C.L.Strauss) وغيرهم، وعلى كل ما يملأ أسواق الغرب من علوم اشتركت فيها عبر الأزمنة حضارات أخرى. وهو ما شجعه على تتبع محاضرات الجامعات والمعاهد الفرنسية التي كان يلقيها منظرون لسانييون فرنسيون، بعد أن كانت قراءآته محصورة في الكتب النقدية لكتاب فرنسيين تقليديين أمثال (بيف وتين ولانسون) وأتباعهم من الأساتذة[2].

- مصادره السيميائية الحداثية.

تعدّدت معالم الاتجاه اللساني في دراسات (عبد الملك مرتاض) النقدية منذ مطلع الثمانينات، حين ولج لوناً جديداً من الدراسات الحداثية، وتبنى جملة من المعارف الإنسانية العلمية – لاسيما النظرية البنيوية منها – ثم اتسعت رقعة النقد الأدبي لديه – مع التسعينات – بإفادته من النظرية الأسلوبية والسيميائية والتفكيكية. فقد عايش مختلف

[1] مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي ، ص250.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 250-251.

التفرعات المنهجية للنقد اللساني[1]، وذلك ما يعبّر عنه قائلاً : "أنا ناقد ألسنّي، والألسنية هي علم اللغة، وتحت مظلة علم اللغة تأتيك البنيوية، وتأتيك السيميولوجية، وتأتيك التشريحية، وتأتيك الأسلوبية" [2].

اعتمد الناقد مشارب متعددة في كتبه النقدية السيميائية ونوجزها فيما يلي:

أ- التيار السيميولوجي الذي تزعمه (دي سوسير) وبعض تلامذته:

عالج هذا التيّار موضوع السّيميولوجيا من زاوية لغوية، وبنت مبادئه -فيما بعد- مدارس متعدّدة مثل مدرسة جنيف، والشكلانية الروسية، وحلقة براغ[3]. وتتضح معالم هذا الاتجاه لدى (عبد الملك مرتاض) في إفادته من بعض عناصر البنيوية، خاصة المتعلقة بشفرات النص والعلاقات التي تحكمها؛ إذ درس نظام بنية اللغة في نص (أين ليلاي) - مثلاً [4]. كما ظهرت إفادته من الشكلانية وأعلامها، حيث يتطرق إلى مفهوم الأدبية، بوصفه مفهوماً نقدياً شائعاً لديهم[5]. واستفاد من بعض مظاهر اللسانيات من خلال

---

[1] مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي ص13.

[2] عبد الملك مرتاض، حوار مع عبد الله الغذامي، نشره جهاد فاضل في كتابه: أسئلة النقد (حوارات مع النقاد العرب)، (د.رط)، (د.ت)، الدار العربية للكتاب، (د.م)، ص210.

[3] مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص45.

[4] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف _ ياء، تحليل مركب لقصيدة (أين ليلاي))، ص122-123.

[5] ينظر عبد الملك مرتاض: المرجع نفسه، ص36-40.

مصادرها المعجمية الأولى مثل معجم (تودوروف وديكرو) ومعجم (غريماس وكورتيس) السيميائي المعقلن، ومعجم (جان دي بوا) اللساني[1].

ب- سيميوطيقا (بيرس):

تجلت بوادر التأثر بهذا الاتجاه لدى الناقد في ترجمته مقالاً بعنوان (الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس)، وفي معالجته لمصطلحي (الرمز) (الإشارة) في كتابه (شعرية القصيدة)[2].

ج- السيميائيات الغريماسية:

اعتمد الناقد على السيميائيات الفرنسية بقوة، إذ أضاء الكثير من المصطلحات استناداً على تعريفات (غريماس وكورتيس) في معجمهما المعقلن، مثل " تقنيات السرد " و"العمل السردي " كما اعتمد آراء (غريماس) في التحليل المورفولوجي للسرديات، وأفاد من منهج الإحصاء بوصفه نمطاً تحليلياً في كتابه (تحليل الخطاب السردي)[3]، ومن أدوات إجرائية بارزة لدى (غريماس) مثل "التشاكل" و"التباين" في كتابه (التحليل السيميائي

---

[1] ينظر مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي ، ص18.

[2] ينظر عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة _ قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية)(د.رط)، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994، ص239-241.

[3] عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية " زقاق المدق " لنجيب محفوظ)، (د.رط)، 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.م)، ص26-29.

للخطاب الشعري)[1]، كما ترجم مقالاً يتعلق بالمربع "السيميائي" الغريماسي (2001)[2]. وأفاد من طروحات سيميائيين آخرين أمثال (بارط)(R.Barthes) و(أمبرتو إيكو)(A.Eco) وغيرهما، مما لا يتسع المجال لتتبع ذلك كله.

2.1 – التنظير السيميائي عنده:

تحدّدت معالم الاتجاه السيميائي لدى(عبد الملك مرتاض) منذ أواخر الثمانينيات، من خلال عدد معتبر من الدراسات النقدية النظرية والتطبيقية، وهي كالآتي:

- ألف ليلة وليلة (تحليل سيمائي تفكيكي لرواية حمال بغداد) (1989).
- ألف–ياء (دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة) (1992).
- شعرية القصيدة–قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة "أشجان يمانية") (1994).
- تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية "زقاق المدق") (1995).
- جماليات الحيز في مقامات السيوطي (دراسة) (1996).

---

[1] عبد الملك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري (تحليل مستوياتي لقصيدة " شناشيل ابنة الجلبي")، (د.رط)،2001، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص43–111.

[2] عبد الملك مرتاض: السيرة الذاتية.

- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) (1998).
- السبع المعلقات (تحليل انتروبولوجي سيمائي لشعرية نصوصها) (1999).
- نظام الخطاب القرآني (تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمن) (2001).
- التحليل السيمائي للخطاب الشعري (تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي) (2001).
- نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية)(2003).
- نظرية النص الأدبي (2007).
- رحلة نحو المستحيل (تحليل سيمائي مركب لقصيدة " رحلة المراحل" لسعد الحميدين") (2007).
- شعرية القص وسيمائية النص (2014).

إن هذا التراكم المعرفي المعتبر، يتضمن دراسات نظرية بحتة، وأخرى تطبيقية مستهلة بمقدمات منهجية. وقد ارتأينا أن تكون معالجتنا لها من ثلاثة مستويات: (الكتب النظرية، المقدمات المنهجية للكتب التطبيقية (منهجه النقدي)، وجهوده في الترجمة وتعريب المصطلح).

أ- السيميائيات من خلال كتبه النظرية:

لم يحتفِ (عبد الملك مرتاض) بالتنظير للّسيميائيات احتفاءه بالتطبيق، وهذا ما يؤكده البون الواضح في إحصاء مؤلفاته النظرية مقارنة بالتطبيقية، حيث لا تشكل الأولى إلا ثلاثة من مجموع أربعة عشر مؤلفاً وهي كالآتي:

- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) (1998).
- نظرية القراءة (2003).
- نظرية النص الأدبي (2007).

يأتي كتابه (في نظرية الرواية) في نهاية التسعينيات بعد أن صارت السرديات إلى رسوخ في النقد المغاربي، وبعد شيوع مقولاتها بين الّدارسين، على مستويي التنظير والإنجاز. ألفه الناقد بعدما اجتمعت له مقادير صالحة من المعرفة – في هذا الميدان- انطلاقاً من القراءات التي كان يمارسها في نظرية الرواية طوال ما يقارب العشرين عاماً . ولاحظ أن ما كُتِبَ حول نظرية السّرد بعامة ونظرية الرواية بخاصة -على الصعيد العربي-، يحتاج إلى إغناءٍ وبلورة، -لاسيما ما هو منوط بتقنيات كتابة الرواية- فجمع تلك المقالات -وهي تسع- وأَذِنَ بطبعها، وذلك ما صرَّح به في مقدمة الكتاب[1].

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، (د.رط) (د.ت)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران_ الجزائر، ص8.

وأما مقالاته التسع، فكانت الأولى عن ماهية الرواية ونشأتها وتطورها، وعرضت الثانية أسس البناء السردي في الرواية الجديدة، وعُنيت الثالثة بالشخصيات بين (الماهية والبناء والإشكالية)، بينما عرضت المقالتان الرابعة والخامسة على التوالي مستويات اللغة الروائية وأشكالها، والحيز الروائي وأشكاله.

وتشترك هذه المقالات الخمس الأولى في نهجها منهجاً وصفياً، يهدف إلى تناول الرواية كجنس أدبي دون إهمال ربطها بعلاقات متعددة مع أجناس أخرى من جهة، وبالتاريخ والمجتمع من جهة ثانية، وبيان علاقة الشخصيات بالضمائر، وعلاقة اللغة بالفلسفة والسيميائيات والبحث في المصطلح وما يحيل عليه في العربية في محاولة تأصيلية[1].

أما المقالات الأربع الأخيرة، فتفيد أن ثمة تعاملاً مع السّرديات من خلال عناوينها: أشكال السرد ومستوياته، علاقة السرد بالزمن، شبكة العلاقات السردية، وحدود التداخل بين الوصف والسرد،على الترتيب. وفي أثناء بسطه لشبكة العلاقات السردية، عرض للعلاقات بين السارد والمؤلف والقارئ، بالاستعانة بآراء (جينيت)(G.Genette) و(تودوروف)(T.Todorov)، و(واين بوث)(W.Booth)، كما عمد إلى إبداء ملاحظاته

[1] ينظر سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص192-193.

حول شبكة المصطلحات والمفاهيم: (السرد والمسرود والسرديات...) وفي أثناء ذلك أدرج بعض التعليقات حول التعقيدات المصطلحية لدى(غريماس)[1].

أما كتابه (نظرية القراءة) فيبرز مساعيه لاستيفاء آراء بنّاءة، بغية تأسيس نظرية موجهة في القراءة، حيث بحث في الكتاب أهم الأسس والمبادئ التي تحكم أي نظرية لقراءة النص الأدبي[2]، وهو يعبر عن هذا المسعى مشيراً إلى صعوبته قائلا: "ونحسب أنّ ما جئنا إلى تحقيقه في هذه الدراسة قد يكون ذا بالٍ؛ إذ أنّى لنا أن نطرح جملة من المساءلات عن إشكالية القراءة التي الكتابة عنها في الأدب المعاصر تظل قليلة (...) والقراءة أداة لفكّ مُلغزات النص الأدبي والاجتهاد بالاقتراب منه (...) ولم تبرح هذه القراءة تتطور، وأجهزتها تتعقّد، ورؤاها تتعدّد، مما حمل المشتغلين في الحقل الأدبي على الطموح إلى تأسيس نظرية عامة تتحكم في بعض مظاهر هذه القراءة (...) وقد أغرانا هذا الوضع المعرفي المَريج بطرح جملة من المساءلات المنهجية والإجرائية، حول هذه الإشكالية الشديدة التعقيد" [3].

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية الرواية، ص210 وما بعدها. وسليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص194 وما بعدها.

[2] ينظر: إبراهيم عبد النور: جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة (قراءة في كتاب نظرية القراءة)، مجلة قراءات، ع2، 2010، مخبر وحدة التكوين في نظرية القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة– الجزائر، ص49.

[3] عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية) (د.رط)، 2003، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران_ الجزائر، ص7.

ومن تلك المساءلات الجريئة: على أي أساس نبني نظرية للقراءة؟ وانطلاقاً من أي نزعة معرفية؟ وعلى أي جمالية نقيمها؟ ثم بأيّ الإجراءات نوقرها؟... وقد سار (مرتاض) لبلوغ مسعاه على خطة منهجية – يهمنا منها ههنا القسم الأول النظري فقط – تقوم على سبعة فصول: يخوض الأول في النظرية العامة للقراءة من حيث هي مفهوم، والقراءة من حيث هي "قراءة حول القراءة"، ثم علاقة القراءة في إجراءاتها النظرية بعلم التأويل، ويعالج الثاني مفهوم القراءة بين الإبداع والابتداع، أما الفصل الثالث فخُصّص لبحث نظرية القراءة بين التّراث العربي والحداثة الغربية[1].

ووقع علاج الإجراءات السيميائية للقراءة في الفصل الرابع؛ وقد أشار الناقد خلاله إلى ضرورة التركيب المنهجي الذي يفرضه النص نفسه، وحاول أن يسوق الأقيسة التي تنهض عليها نظرية القراءة لديه وتخص دراسة التشاكل والتباين، والتماثل والتحايز، والانتشار والانحصار ومالهذه الأركان، من دور في كشف المعنى[2].

وانتهى الناقد بعد ذلك إلى الفصل الخامس، الذي طرح فيه العلاقة بين الإرسال والاستقبال، وذلك ما أفضى به إلى معالجة إشكالية القراءة بالتأويل، والتأويل بالقراءة في الفصل السادس، أما الفصل السابع فضمّنه تأسيساته لنظرية القراءة، وفيه نّبه على عدم جدوى قراءة النص في مستوى واحد (قراءة أحادية الإجراء)؛ لأنها لا تزيد على أن تفتح

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة ، ص6-9.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص126-129.

شهية قارئ النص، وبالمقابل يقترح إنشاء مستويات متعددة عبر المدرسة الفنية الواحدة، إذا أردنا أن نقترب من استنزاف عطاءات النص الأدبي غير المحدودة[1] ثم عرض جملة من الإجراءات لقراءاته المركبة وهي القراءة بالإجراء المستوياتي: (المستوى اللغوي، المستوى الحيّزي، المستوى الزّمني، المستوى الإيقاعي بين الدّاخل والخارج، والمستوى التّشاكلي[2]. وذلك هو صلب منهجه النقدي

وأما كتابه التنظيري الثالث (نظرية النص الأدبي) فقد كان تجسيداً لرغبة بعض أصدقائه بجامعة وهران، في وضعه كتاباً تنظيرياً، بعدما ظل زمناً متطاولاً يتعامل مع النصوص بالقراءة والتحليل، ولا يكتب عن مفهومه إلاّ القليل، يضمنه مقدمات تلك التحاليل[3] وقد استهل الكتابَ بديباجة موسومة "بالنص الأدبي: إشكالية الماهية؛ زئبقية المفهوم"، عرض فيها تعريفات للنص من وجوه متباينة، وتساءلات عن كيفية قراءة النص- مقدّما اقتراحات يؤكد بها استعصاء الإحاطة به-وماذا نلتمس فيه؟ وكيف لا نضل السبيل إلى أدبيته؟ وما الذي يميّز النص عن الخطاب، ويختم ديباجة كتابه ببيان هدفه منه، وهو التحسيس بخطورة النص في نفوس قرائه[4].

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة ، ص212-213.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص214 وما بعدها.

[3] ينظر عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص16.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص9- 16.

يتضمن الكتاب ثمانية فصول، يؤصل فيها ماهية مفاهيم نظرية النص في الأول، وماهية الفن ووظيفته في الثاني، ويبين العلاقة بين الكتابة والنص في الثالث، ويخصص الفصل الرابع للنظرية السيميائية، أين يعرض مفهوم السيميائية وإشكالية ازدواج المصطلح، ويتناول السيميائية في الفكرين العربي والغربي. ويفرد الفصل الخامس لنظرية التّناص عند العرب؛ حيث يعالج فيه مفهوم التناص عند النقاد القدامى، أمثال (الجرجاني وابن رشيق)، بينما يعرض للمفهوم نفسه في النقد الغربي المعاصر في الفصل السادس. أما الفصل السابع، فيطرح فيه مفهوم الحّيز الأدبي أو (الفضاء) في الكتابات العربية القديمة وفي النقد الغربي الجديد، فيما يخصص الفصل الأخير لمجموعة من التعميمات والجزئيات، مثل إشكالية النص المفتوح والمغلق، وتداولية اللغة وتحليل الخطاب.

وما يلفت الانتباه أثناء تصفح كتبه النظرية، أن الناقد ذو نفَس طويل في التأليف، يغوص في الجزئيات، ويجمع المتفرقات، ويقارن بين المتشابهات، وذلك ما يمنح لمؤلفاته قيمة علمية ليست بالهينة.

وتجدر الإشارة إلى ما ورد في آخر مقال نقدي للباحث حتى الآن، من إشارات منهجية سيميائية لتحليل النصوص، ولم أشأ إغفالها؛ لأهميتها.

جاء المقال بعنوان (تحليل النص الشعري: بأيّ إجراء ؟)، حيث اقترح الناقد تركيباً منهجياً لدراسة النص الشعري القديم – الذي يختلف عن الشعر الجديد في الزمان والشعرية – يقوم على المزج بين التاريخ والأنتروبولوجيا من حيث هي خوض في البيئة

الاجتماعية التي تحيط بحياة الشاعر القديم، والسيميائيات من حيث هي وسيلة للذهاب بعيداً إلى ما وراء النص الأدبي. حيث يؤكد أن السعي لقراءة الشعر العربي الأّول خارج إطار الأنتروبولوجيا هو محاولة قاصرة عن بلوغ الغاية، وأن أيّ تحليل معاصر للشّعرية لا يعتمد على الإجراءات السيميائية، يظل غير ذا جدوى[1].

ويشير إلىإيجابيات التحليل السيميائي من حيث كونه فضاءاً واسعاً وحرّاً قائلاً : " الأروع في السيمائية أنك تستطيع أن تتَسّمَّأَ وحدك وأنت منغمس في إجراءاتها العامة (...) دون أن يجعلك ذلك مخالفاً عنها، أو مُشاكِهاً في الوقت نفسه، لسوائك في ممارستك لها؛ بحيث قد يمكن أن يـكون لكلّ محلل كُفٍء سيمائيته الخاصة له (...) دون أن يكون ذلك خروجاً عن تأسيساتها العامة" [2].

ويوضح هذا المقال جنوح الكاتب نحو التحليل السّيميائي باعتباره إجراًء طّيعاً قابلاً للتعدد والتنوع، دون أن يخرج عن أصل وضعه، مع حفاظ الناقد على رؤية التركيب بينه وبين مناهج أخرى.

---

(1) ينظر عبد الملك مرتاض: (تحليل النص الشعري: بأيّ إجراء ؟) مقال قيد النشر، كتب بتاريخ 2014/9/23، ص2-4.

(2) المقال نفسه، ص3.

ب- المقدمات المنهجية لكتبه التطبيقية (منهجه):

يعُد (عبد الملك مرتاض) من أكثر النقاد العرب اهتماماً بالمنهج، فقد احتفى بالمسألة المنهجية احتفاءً بالغاً -على امتداد أربعة عقودٍ- ولا يكاد يخلو كتاب من كتبه النقدية من مقدمة شافية تستوفي الإشكالية المنهجية حقها من البسط والدرس[1]. وفيما يلي نتتبع التطور المنهجي عنده بالتركيز على المنهج السيميائي من خلال مقدمات كتبه التطبيقية، مع مراعاة اجتناب التكرار.

كانت البداية في إرساء معالم الدرس السيميائي والتفكيكي أيضا - لدى (مرتاض) - من خلال كتابه: "ألف ليلة وليلة (تحليل سيمائي تفكيكي لرواية حمال بغداد) (1989)، وقد بّين فيه هدفه التّحسيسي بضرورة الاقتراب من النص التراثي بمناهج حداثية بحذر قائلاً: "فلتكن هذه محاولة ممنهجة لدراسة التراث العربي، ولتكن قبل كل شيء مدرجة لإثارة السؤال ومسلكة لاستضرام الجدال، ولتكن أيضاً دعوة إلى التجديد، ولكن بعيداً عن فخّ التقليد الذي ابتلتنا به هذه النظريات"[2]. كما دعا إلى اجتناب الوقوع في النظرة الأحادية للمنهج الواحد، مضيفاً: "أولى لنا أن ننشُد منهجاً شموليّاً تكون به القدرة على استكناه دقائق النص، واستكشاف كوامنه، دون أن نقبع لا في فخّ البنيويين

---

[1] ينظر يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص31.

[2] عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة (تحليل سيمائي تفكيكي لحكاية "حمال بغداد")، (د.رط)، 1993، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص11.

الرافضيين للإنسان والتاريخ... والاجتماعيين الذين يعللون كل شيء تعليلاً طبقياً، ولا في فخ النفسانيين..."[1]. وبعد تأمل النص وتفحّصه، نزل الناقد عند خيار الإجراء المستوياتي، مع التوفيق بين التراث والنظريات اللسانية بمافيها السيميائية[2].

ويعدّ كتابه (ألف–ياء) البداية الأولى للإنتاج التطبيقي في ميدان الدراسات النقدية الحديثة التي اعتمد فيها المنهج السيميائي، ويشكل جزءاً من مشروع نقدي ضخم، ونقلة نوعية في التأسيس الفعلي للاتجاه السيميائي والتفكيكي[3].وفيه عرضَ تصوّره لما يُ قرأ النص الأدبي عليه، ونوجز هذا التّصوّر فيما يلي[4]:

– الحرص على تناول النص الأدبي تناولاً مستوياتياً، بتسليط الضوء على المستوى البِنوي للغة، والتفكيكي، ثم المستوى الحيّزي، ثم المستوى الزّمني، ثم المستوى الإيقاعي. وتزيد هذه المستويات أو تنقص حسب كثافة النص المحلّل وخصوبته. وهو السبيل الذي انتهجه في تحليله نصّ "أين ليلاي؟".

–مراعاة النّص الأدبي في شموليته، حيث يُ درس شكلاً ومضموناً، دون فصل أحدهما عن الآخر باعتبار أنّ الإبداع عملية كلية لا تتجزّأ.

---

[1] عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة ، ص10–11.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص12.

[3] ينظر مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص72.

[4] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف _ ياء)، ص30 وما بعدها.

– البحث في تشكيل أكبر ما يمكن تشكيله من الشّبكة المتحكّمة في العلاقات الجمالية والبُنوية التي توحّد وجهي الإبداع: الدال والمدلول.

– يمكن الانطلاق من المضمون إلى الشكل، أو العكس.

– الابتعاد عن الرؤية التقليدية التي يعمد أصحابها من خلالها إلى حصر النتائج، وإصدار الأحكام الجمالية حول النص المدروس.

– الولوج إلى عالم النّص دون رؤية مسبقة، وُفق الرؤية الحداثية.

– انفتاحية النص الأدبي على قراءات متعددة، برؤى منهجية وأدوات إجرائية مختلفة.

– تجنب إطلاق الأحكام الجزافية على الدراسات الحديثة (كأن نسميها نفسية، أو اجتماعية، أو بنوية) باعتبارها تصنيفات مدرسية فجة، وبالمقابل الانطلاق من التساؤل عن حداثة المنهج أو تقليديته.

– سعي المحلل إلى استنفاد ما يمكن أن يكون كامناً في النص، وأن يوغل فيه بعيداً، حتى تتضح في ذهنه الرؤى، دون أن يـُضّب نفسه حَكَماً أو قاضياً يصدر الأحكام، باعتبار النقد مظهراً من مظاهر الإبداع الأدبي غايته دراسة أدبية الأدب.

– عدم الخلط بين نظرية النص، وبين النظرية العامة للنقد، وضرورة الإحاطة بالأصول النظرية النقدية التي تدرس نصّاً ما.

أما مسعاه المنهجي في كتابه (شعرية القصيدة–قصيدة القراءة)، فكان ترسيخ مفهوم القراءة السيميائية، وطرح إشكالية القراءة التي تُمارس على النص برؤى متعددة[1]، وقد آثر أن يبني منهجه في هذه الدراسة على خمسة مستويات[2]:

- القراءة التشاكلية الانتقائية، المقاربة التشاكلية تحت زاوية الاحتياز، المقاربة الانزياحية، قراءة جديدة في الحيّز، والقراءة من زاوية الأيقونة، الإشارة، القرينة والرّمز.

وقد افتتح كتابه (التحليل السيمائي للخطاب الشعري) بمقدمة منهجية، عرض فيها المنهج الذي سلكه، ثم عرّف بالمصطلحات التي اصطنعها أدواتٍ للتحليل. ثم أوضح المستويات التي اعتمدها لدراسة النص. وفي خلال عرضه للمنهج أشار إلى مسعاه من خلال الكتاب قائلاً: "كانت غايتنا أن ننهض بتجربة تحليلية، نسهم بها في الأعمال الحداثية الأخراة، التي بدأت تظهر في المغرب والمشرق، في محاولة لإرساء أصول مدرسة عربية، تقوم على قراءة النص الشعري العربي، من منظور إذا اتخذ بعض الأدوات المستجلبة من مناهج الغرب الحداثية، فإنه يظل في الوقت نفسه وفي أساسه عربي الذوق..." [3].

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة–قصيدة القراءة، ص7–21.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص30–31.

[3] عبد الملك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري، ص25.

ويطرح الناقد في المقدمة دائماً مسألة القراءة المركبة التي دأب عليها، فيقول: "وقد دأبنا نحن في تعاملنا مع النصوص الأدبية التي تناولناها بالقراءة التحليلية على السّعي إلى المزاوجة، أو المثالثة، أو المرابعة، وربما المخامسة بين طائفة من المستويات، باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتزئ بإجراء أحاديّ في تحليل النص" [1] ثم يعلل قصور الإجراء الأحادي النقدي مضيفاً : "لأن مثل ذلك الإجراء مهما يكن كاملاً دقيقاً، فلن يبلغ من النّص المحلل كل ما فيه من مركبات لسانية (...) إن هذه الأدوات الإجرائية الجديدة (...) لا ينبغي أن تستأثر بالتفرد (...) ولكن يجب أن تكون تلك الأدوات مطورة لرؤيتنا إلى النص، ومكملة للنقائص" [2]. ويبرهن على سداد هذه الرؤية من خلال بيان العلاقات بين المناهج قائلاً: "ومما قد يُدني هذا الوجه من الرّأي نحو السّداد (...) أن معظم هذه المناهج موروث بعضها عن بعض، وقائم بعضها على بعضها الآخر..." [3].

ويطرح بعد ذلك مسلماته النقدية، من عدم وجود منهج مثالي كامل، الأمر الذي يقضي باتباع القراءة المركبة، القائمة على تهجين المناهج لتنشيط أدواتها، وتفعيل إجراءاتها، ويقدم خلال ذلك بعض الاقتراحات في التركيب المنهجي لقراءة نصوص شعرية ونثرية، ومن ذلك إمكانية قراءة النص الشعري بالمنهج البنوي اللساني مع

---

[1] عبد الملك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري ، ص9-10.

[2] المرجع نفسه، ص10.

[3] المكان نفسه.

التفكيكي، أو السيمائي مع استثمار كل عطاءاته وإجراءاته مثل الّرمز والإشارة والمماثل (الأيقونة) والانزياح... [1].

إن ما يجمع بين هذه المقدمات المنهجية، عنايته من خلالها بتوضيح مساعيه في تجديد الرؤية النقدية دون إهمال التراث، وكذا تبرير اختياره للقراءة المركبة، والتأكيد على قابلية النصوص للقراءة المتعددة، وبيان المسار المنهجي المعتمد في كل دراسة تطبيقية، والذي يركز فيه على الإجراءات السيميائية والتفكيكية.

ج- جهوده في الترجمة وتعريب المصطلح السيميائي:

إنّ المصطلح النقدي -ولاسيما السيميائي- هو صورة مكثّفة للعلاقة القائمة بين اللّسانيات والنقد، إذ تزخر السيميائيات بكثافة مصطلحية واضحة، انتقلت إلى النقد العربي المعاصر عبر الترجمة والتعريب، ووقعت في نقلها فوضى كبيرة؛ نظراً لغياب التنسيق بين المترجمين والمعربين.

وتأتي إشكالية المصطلح السيميائي في طليعة انشغالات (عبد الملك مرتاض)، إذ يهتم به اهتمامه بالمنهج النقدي لأن المصطلح هو لبّ المنهج. وقد حاولنا اختيار بعض المصطلحات السيميائية الأكثر دوراناً في مدونته النقدية، بغية تسليط الضوء على جهوده في هذا المجال وكيفية تعامله مع المصطلح، ووقع اختيارنا على المصطلحات الآتية: (السّمة والسيميائية، الحّز، المماثل (الأيقونة)).

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري ، ص18-22.

- **السّمة: (Signe)**: هو مصطلح منحدر عن اسم لاتيني:(Signum) مرادف للعلامة والإشارة وهي شيء مدرك يمكن أن نستخلص منه توقعات وإشارات خاصة بشيء آخر،غائب ومرتبط به[1]. والمصطلح عربي، ذكره (ابن منظور) في مادة (سَوَم): "السُّومة والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمة: العلامة"[2].

وقد عني (مرتاض) بهذا المصطلح، وأفرد له صفحات عدة من كتبه ومقالاته وحدده عبر محوري التراث والحداثة، حيث أرجع المفهوم إلى العرب، معتمداً التعريف الذي جاء في (الصّحاح)على أنه العلامة، واستند على تعريفات حداثية أخرى، على غرار تعريف (غريماس) لمفهوم السِّمة على أنها **"**شيء جيئ به ليمثّل شيئاً آخر**"** [3]. واعتبره تعريفاً جامعاً مانعاً، لم يخرج عنه العرب القدامى. غير أنه آثر مصطلح السّمة على مصطلح العلامة، لأسباب منها أن العلامة استعملت في الفكر النحوي بمعنى اللاحقة التي تلحق الأفعال والأسماء دون الحروف، فتستحيل من حال إلى حال، للنهوض بوظيفة دلالية يقتضيها المقام[4].

---

[1] أمبرتو إيكو: العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص36.

[2] ابن منظور، لسان العرب، الجزء 24، المجلد 3، مادة (سوم).

[3] Courtés et Greimas ,Sémiotique ,dictionnaire raisonné de la théorie du langage ,Seuil ,Paris,1972,p350. نقلا عن عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص153.

[4] عبد الملك مرتاض : المرجع نفسه، ص148.

وقد عالج جوانب الاضطراب الحاصل في مفهوم (السِّيَمائية)، عند الّدارسين العرب وفي الأوساط الجامعية، إذ وضّح أن منظري السيمائيات العرب أخذوا مصطلح (الّسيمِيائية) من (السِّمِياء) التي وردت في المعاجم العربية، وأضافوا لها الياء الصناعية، فانتقدهم لاختيارهم أطول الألفاظ الثلاثة (السِّيما، والسِّيماء، والسِّمِياء) ليلحقوا بها الياء الصناعية، كما بين اللّحن الذي يقع فيه مستعملو صيغة (سيْمِيائيات) بالجمع بين ساكنين. فيما آثر هو استعمال صيغة: (السِّيمائية) الآتية من (السِّيماء)، والذي وظفه في عناوين كتبه[1].

- **الحَيِّز (Espace)**

يبدأ (مرتاض) بالحديث عن الحّيز – لأول مرة – في كتابه (الألغاز الشّعبية الجزائرية)، وقد سعى إلى استثماره واتخاذه أداة قرائية، تلفت الانتباه إلى جانب مهم أغفلته الدراسات التقليدية[2].

وقد خصّص الناقد فصلاً كاملاً لبسط مفاهيمه في كتابه (نظرية النص الأدبي)، وهو كعادته ينطلق من التراث، ويقتبس نصّاً (لابن منظور) في تعريف الحّيز؛ فهو مشتق من الاْحتِيازِ بمعنى امتلاك الشيء وسوقه ليصبح شخصياً، كما يبّين أصله الواوي عند

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص157 وما بعدها.

[2] ينظر حبيب مونسي: فعل القراءة (النشأة والتحول)_ مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، (د.رط)؛ 2002، منشورات دار الغرب، وهران– الجزائر، ص117.

النحاة (الحَوْزُ)[1] ثم يتوسع في تأصيل هذا المفهوم، فيوضح أصله اللاتيني (Spatium)، ومفهومه عند الفلاسفة كونه: "الوسط المثالي الذي يتجسد بخارجية أقسامه،وفيه تتمركز مدركاتنا الحسّية، وهو يحتوي نتيجة لذلك كل الامتدادات النهائية"[2]، ثم يعرج على التأصيل له في الكتب العربية القديمة، ومنها (البيان والتبيين)، فقد فهم من قول (الجاحظ): "المعاني مطروحة في الطريق" [3] أنه يريد التحدث عن الحّيز الأدبي باعتباره معاني مفتوحة وممتدة[4]. ثم ينتقل إلى عرض مفهوم الحّيز في النقد الغربي الجديد، مستهلاً بمناقشة هذه المسألة مع (موريس بلانشو)(M.Blanchot) الذي تميز بالكتابة عن الحيز الأدبي، إذ يتمظهر من خلال رغبة الأديب في قول كل شي في إبداع واحد، إلا أن ذلك لا يُنجز إلا ضمن لانهائية الإبداعات، فالحيز الأدبي مفتوح على مصراعيه[5].

أما مفهوم الحيز عند الناقد نفسه فهو: "كل ما يمكن أن يكون حجماً أو وزناً أو امتداداً أو مُتَّجهاً أو حركة في سلوك الشخصيات، أو في تمثّل النص الذي يتعامل مع

---

(1) ينظر ابن منظور، لسان العرب، الجزء 12، المجلد 2، مادة (حوز).

(2) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، (ط2)؛ 2001، منشورات عويدات، بيروت _ لبنان، مج 2، ص362.

(3) البيان والتبيين، ج1، ص76.

(4) عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص303-304.

(5) المرجع نفسه، ص315-316.

هذا الحّيز..." [1]. وقد عدل عن اصطناع مصطلح (الفضاء) لأن الفضاء عام اتّسع انتشاره في حقول معرفية معاصرة، فالحّيز عنده هو الفضاء الأدبي نفسه[2].

والطّريف في الأمر، تلك الاشتقاقات التي يصطنعها الناقد من مصطلح الحّيز للدلالة على معاني قريبة من مفهومه؛ مثل (التّحايز) الذي قاسه على (التشّاكل) و(التّماثل) ، ويعني تبادل الحّيز مع صنوه وظائف التفاعل والتداخل والتخاطب، ومثل مصطلح: (الحَيْزَنَة) وهي جهاز لإفراز الحّيز[3]. وتعبر عن بصمته الخاصة في اشتقاق المصطلح.

- **المماثل (الأيقونة) (Icon):**

يبّين (مرتاض) الأصل في الاستعمال الدّارج لمصطلح (الأيقونة) لدى النقاد الحداثيين الذين اصطنعوه كما جاء في أصله في اللّغات العربية، والمنحدر من اللغة الإغريقية، وأشار إلى أّول من اصطنعه مصطلحاً سيميائياً هو (بيرس) الذي عرّفه بعلاقته الشبيهة مع العالم الخارجي؛ وهي العلاقة التي تجسّد امتلاك الخصائص نفسها بالقياس إلى الشيء المدلول عليه بذاته؛ كالخريطة الجغرافية التي هي أيقونة (مماثل) للبلد

---

[1] عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي ، ص301.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص297-298.

[3] عبد الملك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري، ص39.

الذي تجسّده على الورقة. والمماثل هو الشيء الذي يماثل الآخر في العالم الخارجي؛ أي الصورة الحاضرة المطابقة للغائبة كانعكاس الوجه على المرآة[1].

وقد اصطنع الناقد في بعض تعابيره مصطلح (التّماثل) ليتفق في الوزن مع (التشاكل والتباين) من جهة، ثم لمحاولة إعطائه دلالة جديدة، توحي بالقدرة على التفاعل مع العناصر السيميائية الأخرى[2].

هذا غيض من فيض، وهكذا هو (مرتاض) في توظيفه لثروته اللغوية التي تمتد قواعدها إلى الموروث العربي، وفي خوضه لتفرعات المصطلح محكوماً بالحدود العامة التي وضعها البلاغيون والنحويون، والسيميائيون الغربيون أيضاً، ونحته مصطلحاته بخصوصية وتفرّد[3].

وقد ترجم الناقد مقالين في السيميائيات من الفرنسية إلى العربية، الأول بعنوان: (الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس)، وهو منشور في مجلة علامات (جدة)، العدد الرابع، سنة 1994، والثاني بعنوان: (المربع السيميائي لغريماس) منشور بالمجلة نفسها، سنة 2001[4].

---

[1] ينظر: التحليل السيمائي للخطاب الشعري ، ص30-31.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص33.

[3] ينظر: مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص121.

[4] عبد الملك مرتاض : السيرة الذاتية

2- الجانب التطبيقي: (القراءة السيميائية المرتاضية وخصائصها في النص والخطاب)

حظي (عبد الملك مرتاض) بتجربة طويلة المدى في التعامل مع النصوص واستنطاقها، إذ اشتغل على نصوص كثيرة تتوزع بين القديم والحديث والمعاصر، والفصيح والشعبي، والديني (الخطاب القرآني) والدنيوي، والشعري والنثري (المقامة، والحكاية، والرواية)، بإجراءات لمناهج مختلفة. وقد أشرنا لعناوين كتبه السيميائية سابقاً، وبيّنا النظري منها والتطبيقي.

1.2- القرآن الكريم: (قراءة في كتاب " نظام الخطاب القرآني")

لا يختلف اثنان في أن ما يصدُق على النّص الشعري والنثري من التّحليل، لا يصدق بحذافيره على النص الإلهي من التأويل والتفسير، ذلك أنه كتاب دين، بما فيه من أحكام فقهية، وتشريعات أصولية، وقصص وسِير، ومواعظ وعِبر. وهو بالإضافة إلى ذلك ظاهرة أسلوبيةُ معجزة، تَعِدُ الدّارس بنتائج باهرة في نسيج نظمها وائتلاف لغتها.

يأتي كتاب (نظام الخطاب القرآني) كمحاولة وحيدة_ لحدّ الآن _ لتحليل الظاهرة القرآنية بتحديث الإجراءات، والإفادة من النظريات النقدية الغربية لتعميق الرؤية، وتوسعة الآفاق، وتجديد المعارف وصقلها، لترسيخ الكينونة في صورة الحاضر المعيش. وهو تكملة لما مضى من جهود الأقدمين.

يقع الكتاب في ثلاثمائة وأربع صفحات، استهلّه الناقد بمقدمة، أشبه ما تكون بحديث النّفس؛ وكان أول ما بدأ به هو بيان الدوافع الذاتية التي قادته لتأليف الكتاب، وتتلخص في صلته الروحية الحميمة التي تربطه بالقرآن الكريم منذ صباه المبكّر، ذلك أنه أمعن في ختمه إحدى عشرة مرة بالكُتّاب، وكان مداوماً على تلاوته أو الاستماع إليه؛ فعنّ له أن يدّبج شيئاً ما عنه، ولو على هَون ما، ولكن التردّد كان يغالبه في ذلك، ولم تكن الرؤية قد اتضحت لديه بعد حول أي جانب يتناوله منه، إلى أن سمع من بعض النقاد المعاصرين كلاماً، يعيب فيه ظاهرة التكرار في (سورة الرحمن)، ولم يعجبه ذلك، الأمر الذي جعله يبادر في الشروع في الكتابة عن السورة نفسها،وهو تعليل اختياره لها من بين سائر سوره الكريمة[1].

وانبرى الناقد بعد ذلك يوضح العلل الموضوعية، وتتلخص في أن الخوض في المسألة الدينية والفلسفية...أمر ضروري لاكتمال الشخصية الفكرية للباحث، وقد سبقه إلى ذلك كبار المفكرين المسلمين القدامى منهم والمحدثين، أمثال (الزجاج والفراء والجرجاني والزمخشري وابن باديس) وغيرهم. ثم أن المستشرقين أنفسهم كانوا يعنون به ولا يزالون، إما مدارسة أو ترجمة أو حتى افتراءً، ولا ينبغي أن يكون المستشرقون أنشط من المفكرين والباحثين المسلمين في هذا المجال، وهو بعيد عنهم،وهم بعيدون عنه مهما اجتهدوا في

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني (تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمن)،(د.رط)، (د.ت)، دار هومه، الجزائر، ص7-8-9-18.

الاقتراب منه. بالإضافة إلى التحفيز الذي تلقاه الناقد من أستاذه (نجيب محمد البهبيتي) الذي فتح قلوب طلابه على تذوق جمال النص القرآني، ثم رؤيته النقصَ في مناقشة بعض المسائل التي طرقها المفسرون، والتي رجع إليها الناقد فلم تشفي غليله. وكذا الأدوات البلاغية (المفلسة) التي اعتمدها البلاغيون في مدارسة القرآن، وكانت لا تتجاوز المجازات المختلفة[1].

بعد ذلك،وصل إلى بيان مسعاه من خلال الكتاب –باعتماد إجراءات سيميائية وأسلوبية- والمتمثل في تفهّم سر التكرار انطلاقاً من السؤال التالي: لماذا وقع تكرار هذه "البأرتة"[*] إحدى وثلاثين مرة في سورة قصيرة لا تتجاوز في تقدير الحفّاظ والمقرئين ربع حزب، من حيث لم تتكرر أيّ آية مثلها في أطول سورة من القرآن الكريم وهي (البقرة)[2]. وختم مقدمته ببيان المستويات الستة التي عالج من خلالها السورة، وهي كالآتي: في تأويلية بعض المشكل في نص (سورة الرحمن) ، الزمن القرآني، الحيّز القرآني، التشاكل والتباين، نظام النّسج الخطابي، البنية الإيقاعية. وفيما يلي عرض وتوضيح لخصائص الدراسة في كل مستوى.

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني ، ص10-13.

[*] هو نحت اقترحه ليطلق على قوله تعالى: (فبأيّ آلاءِ ربّكما تكذّبانِ).

[2] ينظر عبد الملك مرتاض : المرجع نفسه، ص18.

- **في تأويلية بعض المشكل في نص (سورة الرحمن).**

يفتتح الناقد هذا الباب ببيان أهمية الولوج إلى النص القرآني من بوابة التأويل كخطوة منهجية، ولأن النصّ نفسه مظنة للتأويل؛ فالعامي وحده هو الذي يقرأ ولا يتساءل، أو يستظهر، أو يفكر، أو يؤول، ثم إن تأويل النّص القرآني سلوك مشروع بنص القرآن نفسه للراسخين في العلم[1].

ويقدم بعد ذلك خلاصة نظرته في كتب الأقدمين والمحدثين أيضاً، المنوطة بسورة الرحمن، فكل ما عرضوا له في هذه السورة كان بسيطاً تعمه النظرة الجزئية، يشرح الألفاظ ويقتضب التعليقات ويطغى فيه الموقف الديني على الموقف النّصاني. فلم يتساءلوا عن حكمة تواتر آية "البأرتة "في السورة، ولَم ترد دت في كل آية ابتداءً من الثامنة؟ ولم يهتموا بالبنية الخارجية التي تحكم ترابط السور، ولا الداخلية. وبالتالي فمنطلقهم الإجرائي والمنهجي في تقديره خاطئ. وتلك ميزة – في نظره –لا مغمزة، إذ لو سلّم هذا لذاك، وذاك لهذا، لما تطور البحث ورقيت المعرفة[2].

ويعرض الناقد _قبيل توقفه عند بعض الآيات المتشابهة_ مفاهيم مصطلحي (التفسير) و(التأويل) فيبين أن التفسير وقف على مدارسة القرآن، في حين يثب بمفهوم التأويل إلى مستوى (الهرمينوطيقا)؛ إذ يعني الفهم الدقيق والتأويل اللطيف والتطبيق

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني ، ص27–30.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص28–31–33.

البارع[1]. ثم يقسم السورة المدروسة إلى ثلاثة مواقف استناداً إلى مضمونها: التذكير بعظمة الله وقدرته وحكمته وأفضاله (البنية الكونية)، ثم موقف الوعيد للمستهترين، (البنية العقابية)، ثم موقف تكريم المتقين وثواب الصالحين (البنية الثوابية)[2].

وأما الآيات المؤوّلة فهي أربع، ومنها: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ القُرْآنَ﴾[3]، حيث يشير إلى عظمة مقوم الرحمن، إذ هو آية بنفسه، ويعيب على النحويين توصيفه بالمبتدأ الذي يفتقر إلى كلام يخبر عنه، ويبين أن الذوق العربي الرفيع يأبى أن يكون للرحمن خبر، فهو نفسه المبتدأ والخبر، بل هو فاعل مطلق الإرادة في فعله. وتلك نظرة غاية في الطرافة.أما التعليم فهو رباني، قرنه الله باسمه ويعني الغنى والإيمان والخير والحب والسلام والحقيقة... في حين يؤّول لفظ القرآن هنا بمعنى القراءة،التي تعقبها الكتابة، ثم التّعلم، ثم الإدراك الحسّي والمعنوي، لا بمعنى القرآن _ الكتاب الكريم_ بناء على أن المولى – عز وجل – ابتدأ بالتعليم قبل الخلق نفسه[4]، وهو يتفرد بهذا التأويل الأخير، ذلك أن عامة المفسّرين أّولوا لفظ القرآن بمعنى الكتاب المنزّل، ومن ذلك ماورد في تفسير(ابن كثير) (ت.774هـ):" قال (الحسن): يعني النّطق. وقال (الضّحاك) و(قتادة) وغيرهما: يعني الخير والشّر. وقول (الحسن) هاهنا أحسن وأقوى؛ لأن السّياق في تعليمه تعالى القرآنَ،

---

[1] عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني ، ص33-37.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص37-39.

[3] الرحمن/1.

[4] ينظر عبد الملك مرتاض: المرجع السابق، ص39-46.

وهو أداُءتلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النُّطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها، من الحلق واللّسان والشّفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها."[1] فالمقصود أن الله تعالى علَّم الإنسان تلاوة القرآن .

وقد خص آية "البأرتة" بكلام كثير بدأه بإحصاء ترددها الذي يقدر بإحدى وثلاثين مرة، أي ما يشكل 74.39٪ بالقياس إلى آي السورة مجتمعة، ثم يجنح إلى تأكيد مكّيتها بناًء على قِصَرِ آياتها، ثم يوضح أنها وقعت في سياق تعداد الله نعمه على عباده، وجاءت بعد تقرير مواقف، أو مواعظ، أو وصف أمكنة، وأَن النَّسج فيها يقوم على علاقتين بينهما قضية اختلافية؛ لذلك جاءت بصيغة الاستفهام الإنكاري، وجاءت على سبيل التبكيت والتعجيز، فالطرفان هما الله – عز وجل – الذي يقوم على الإثبات والتذكير، و(الإنس والجن) اللذان يقومان على التكذيب الافتراضي. ليصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أن آية (البأرتة) ليست تكراراً إلا من الوجهة السّطحية، أما نظمياً فإنّ الآية لها وظيفة دلالية وجمالية بإزاء ما يسبقها أو يليها من الآيات[2].

وبناًء على ما سبق نخلص إلى النتائج الآتية:

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح : عبد الرزاق المهدي، (د.رط)؛ 1432هـ_2011م، دار الكتاب العربي بيروت_ لبنان، مج 6، ج 27، ص 55 .

[2] ينظر عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني ، ص47-65.

– اطّلع الباحث على ما سُبق إليه من دراسات قرآنية عموماً، وما تعلق بسورة الرحمن خصوصاً، ورصد مكامن النقص فيها، ثم حاول سدها في هذه الدراسة.

– احترازه وتأنيه في مسألة التأويل لتعلقها بالخطاب الإلهي.

– احترامه للتراث وإفادته من الجانب المشرق فيه، ورفضه للجانب الآخر الذي يعتبره وسائط جدارية معيقة.

– تفرده ببعض التأويلات وخروجه فيها عما اتفقت عليه كتب التأويل.

- **الزمن القرآني**

قبل ولوج الباحث في دراسة الزمن القرآني، قدم تمهيداً حول تطّور الدراسات المنصرفة إلى دراسة الزمن في النوادي الغربية، ولاسيما في النصوص السّودية، وأشار إلى أن المسألة لم يتناولها النقاد القدامى لقصور إجراءاتهم المنهجية، التي لم تتجاوز المفاهيم النحوية (التقسيمات الزمنية الثلاثة)، وهو ما حاول استدراكه، بتوظيف الإجراءات التحّليلية اللّسانية والسّيميائية خصوصاً في دراسته[1].

ثم عرّج على توضيح مفهوم الزمن القرآني في التنظيرات الإسلامية المعاصرة لـ(محمد أركون) واتفق معه فيما ذهب إليه من رفض إقحام الزمن القرآني في

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، ص70–71.

التاريخانية[*] التي تجّمد المفاهيم، ولا تعنى إلا برصد الوقائع الثابتة وحدها، ورفض محاولة إلصاق العجائبية به أثناء ذلك. في حين يخالفه الرأي في أطراف من هذه الكتابات[1].

استخلص (مرتاض) من خلال دراسته الزّمن القرآني في سورة الرحمن، جملة من الأزمنة، يمكن تقسيمها إلى قسمين: زمن الفعل، وزمن الاسم، وقد قسم زمن الفعل وفق النظرة النحوية التقليدية إلى[2]:

– الزمن الماضي: وهو في القرآن غير الزمن المألوف، فالفعل الماضي في (خَلَقَ الإنسان) يمثل حركة زمنية أبدية تمتد إلى ما يشاء الله.

– الزمن الحاضر: وهو وإن كان ظاهره –نحوياً–عبارة عن دلالة زمنية حاضرة، فهو أسلوبياً يمتد في أعماق الزمن غير القابل للتعداد. مثل الفعل (تكذّبان) المتجدد.

أما زمن الاسم، – والذي هو من وضع الناقد – فينقسم هو الآخر إلى[3]:

– الزمن السّرمدي (الألوهي): ويتضح في لفظ الجلالة (الرحمن)؛ فهو يجسد كل ما في الكون من مقاسات الزمن، ويجاوزها، لأنه فوقها وقبلها وبعدها.

---

[*] هي نزعة تؤثر التاريخ في التعليل الشامل للعالم.

[1] ينظر: محمد أركون الفكر الإسلامي (قراءة علمية) تر: هاشم صالح، (ط1)؛ 1987، دار الإنماء القومي، بيروت–لبنان،ص 92. وكذا عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني ، ص78–84.

[2] ينظر: عبد الملك مرتاض: المرجع نفسه: ص84–104.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص104–115.

– الزمن الأبدي: ويتجسد في المظاهر والأشياء والأمكنة الأبدية التي لا يكاد التغير يعتورها مثل (الجنة والنار)؛ فهما موجودتان وتمت كينونتهما في تدبير المشيئة الإلهية، قبل يوم الحشر.

– الزمن العارض: وهو الزمن الدنيوي الذي تحمله أسماء الأشياء الفانية، مثل (النخل ذات الأكمام)

وبعد عرض المحتوى، نتوصل إلى النتائج الآتية:

– سلك الناقد في دراسة الزمن القرآني مسلك الدراسات اللسانية والسيميائية المعاصرة، وترتب عن ذلك إعطاء الدراسة بـُعداً جديداً، وظهور نتائج إيجابية في تمثل الزمن القرآني وفهمه.

– اجتهد في التحليل السيميائي في وضع الزمن الاسمي، على عكس ما عُوف في النحو العربي؛ ذلك أن السيميائيات إجراء طّبع على حدّ قوله.

- **الحيّز القرآني**

يوضح الناقد في البداية – كعادته –حقيقة الحيّز الذي سيدرسه، فليس هو ذلك الذي يتجسد في الاتجاهات والامتدادات والأبعاد، وإنما ذلك الذي يقوم بحكم العلاقات الحيّزية التي تستنبط من المقوم المعروض للتحليل[1].

[1] ينظر عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني ، ص117–118.

ويشير هنا إلى الأغلوطة التي وقع فيها (محمد أركون) في حديثه عن العالم الغيبي (الحيز الروحي) بنظرة علمانية لا تؤمن بشيء حتى تعرفه معرفة قائمة على المشاهدة أو التجربة المكررة، مشيراً إلى أن العلوم الإنسانية لا علم فيها، ولم تتوصل حتى اليوم إلى منهج علمي صارم قابل للبرهنة. ثم يوضح أنه سيتناول الحّيز القرآني من وجهة نظر القرآن نفسه، لا من وجهة نظر العلم[1].

وقد أحصى الناقد أنواعاً عدة من الأحياز: الإلهي،الروحي، والكوني.

- الحّيز الإلهي: إن ألفاظاً مثل (وجه ربك) و(مقام ربك) وما في معناها، تدل على الوجود الذي نعجز عن تمثله؛ لأنه أمر لا يندرج تحت سلطان العلم، وإنما ينضوي تحت إشراقة الإيمان. فالحيز الإلهي إذن هو الألوهية المتجسدة في الإيمان الذي في القلوب، وفي الكون، وهو موجود في كل مكان[2].

- الحّيز الروحي، وتناوله من ناحيتين: جمال حّيز الجنة ذات الأفنان والفواكه والعيون الجارية وقاصرات الطرف...ثم بشاعة حيز جهنم المهّول الذي يجري فيه تجشم العذاب[3].

وما يمكن استخلاصه ههنا هو:

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني، ص119-122.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص122-123.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص123-142.

– خصوبة التعمق في المضامين، من خلال التصنيفات الكثيرة للأحياز والعلاقات بينها، الذي تتيحه الإجراءات السيميائية.

– لم ينزلق الباحث في الأغلوطات التي وقع فيها العلمانيون، حينما تحدثوا عن عالم الغيب، وبين أن النظرة العلمانية غير صالحة في هذا المجال.

- **التشاكل والتباين:**

يوضح الناقد مفهوم التّشاكل(Isotopie)[*] في تصوّره بأنه "تبادل الخصائص الشكلية بكل مظاهرها النحوية والمرفولوجية والإيقاعية، إفرادية كانت أم تركيبية" [1] وأشار إلى أن المفهوم لا يزال جديداً مضطرباً، يحتاج إلى تدقيق؛ لذلك اجتهد في التصرف فيه تطبيقياً بما لا يخالف الذوق العربي. ومن نماذجه في دراسة الوحدات من الناحية

[*]عالج عبد الملك مرتاض مصطلح (التشاكل)في غير ما موضع من كتبه، تنظيراً وتطبيقاً، فكان من أكثر السيميائيين العرب تعاطياً لهذا المفهوم، وأجرأهم تصرّفاً في دلالاته، إن لم يكن أكثرهم. ومن ذلك تنظيره له في كتابه (نظرية القراءة) : " وُضِع هذا المصطلح، في أصله، في اللغة الفرنسية، لمفهوم من مفاهيم الكيمياء، وقد اصطنع هذا الحرف لأول مرّة عام 1933 معجم (لاروس)، وهو منحوت في أصله من جذرين اثنين إغريقيين: (Isos) ؛ ومعناه يساوي أو ُساوٍ، و(Topos)؛ ومعناه المكان. فكأن هذه التركيبة تعني المكان المتساوي، أو تساوي المكان. ثم أُطلق هذا اللفظ المركب في الحالّ في المكان، فقُصِد به إلى كل ما استوى من السّمات اللفظية الظاهرة المعنى، و الباطِنته، والمتمثلة في التعبير أو الصّياغة، وتأتي متشاكهة مرفولوجياً، أو نحوّياً، أو إيقاعّياً، أو تراكبّياً، عبر شبكة من الاستبدالات والتّباينات، وذلك بفضل علاقة سياقية تحدّد معنى الكلام." ص 132 . وينظر: يوسف وغليسي، مفاهيم التشاكل في السيميائيات العربية المعاصرة، محاضرات الملتقى الوطني الرابع للسيمياء والنص الأدبي،(د.رط)، 2006م، منشورات جامعة محمد خيضر_ بسكرة_ الجزائر، ص 37_39 .

[1]عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني ، ص159.

الأسلوبية، وبإجراء التشاكل، الآيات الآتية: ﴿ الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1]؛ فهي خبرية تبتدأ باسم الجلالة تنبيهاً للمقام، تشتمل على نكتة أسلوبية عجيبة، تتجسّد في اعتبار كل حدث من الأحداث الثلاثة عالماً قائماً بذاته. ويظهر تشاكل متنوع بين المقومات:(القرآن، الإنسان والبيان)، مورفولوجي؛ لانتهائها بالمقطع (آن)،وإيقاعي؛ لأن لها البدايات والنهايات نفسها، ونحوي؛ لأنها تقع جميعها موقع المفعولية[2].

وعلى خلاف تنظيره لمصطلح التشاكل في الكتاب ذاته، لم يعن الناقد ببيان مفهوم التباين (Hétérotopie)[*]، إذ شرع في محاولة حصر التباينات مباشرة، ومن نماذجه: الزوجان (السماء وأقيموا) ويتباينان نحوياً من حيث الاسمية والفعلية، ولا يوجد بينهما انسجام إيقاعي ولا مورفولوجي[3].

---

[1] الرحمن /1-4.

[2] ينظر عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني ، ص163-165.

[*]تناول الناقد مصطلح التّباين في غير ما كتاب، ومن ذلك كتابه (نظرية القراءة): إذ ذكر فيه أنّ المصطلح منحوت من لفظين إغريقيين، هما (Hétéros) ومعناه (غير) أو(آخر)، و(Topos) ومعناه (مكان)،أي (المكان الآخر)واقترح الناقد أن يُترجم بالتّباين أو الاختلاف، مبّيناً أنه مفهوم سيميائي يقوم على إدراك العلاقة الدّلالية بين الموضوع و المحمول، أو المسند والمسند إليه، ويكون موقَراً بشيء من الانزياح بين وحدتين اثنتين، أو جملة من الوحدات، فيكون ذلك أّول الشروط لظهور المعنى. كما وضّح ما يقابل المصطلح في التراث البلاغي : (التقابل) . ص 135_137

[3] المرجع نفسه، ص183.

وعلى هذا النحو أفرط الناقد في حصر التشاكلات والتباينات، ثم المقارنة بينها من حيث الكم في نهاية كل وحدة، مما أعطى الدراسة طابعاً شكلّياً إحصائياً .

- **نظام النّسج الخطابي**

اعتمد (مرتاض) المنهج الأسلوبي في معالجة هذا المستوى، إذ تنهض دراسته لنظام النسج الخطابي على إظهار الخصائص الأسلوبية لسورة (الرحمن)، ونوجزها فيما يلي[1]:

– اتسمت اللّغة القرآنية الرحمانية بالسّمو والوقار وسيادة الجو الروحي، على غرار سواها من آي الذكر الحكيم، إذ ظلت اللّغة وقورة في تعبيرها عن العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة.

– تقع السورة في نسجها على بناء دائري؛ حيث تبتدأ بالرحمن ذكراً، وتنتهي بشيء من مثله مدحاً (الرَّحْمَنُ)...﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ والإِكْرَامِ﴾ [2]؛ فهو انسجام قائم على ربط الأول بالثاني، وما في هذه السورة كله، يغتدي مجرد تفصيل لمعاني الرحمن العظيمة. والتبريك الذي ختمت به السورة هو طيٌّ لتلك المسافة الطويلة التي نقطعها في قراءتها، أو هو جمع لتلك الآداب الإلهية.

– تسود النص ظاهرة التكرار، ويأتي تكرار آية "البأرتة" في المرتبة الأولى؛ إذ ترددت إحدى وثلاثين مرة، فنهضت بوظيفة أسلوبية لها جملة من الخصائص، منها أن

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض، (نظرية القراءة)، ص237–261.

[2] الرحمن / 78

هذا التكرار يعكس خصوصية الأمر والاحتفاء به، وأنه استطاع أن يؤثّر في طبيعة بناء النّص؛ ذلك أن الآيات التي تتألف وحدتها الكلامية من أربعة عناصر ألسنية، هي التي تشكل البنية الأسلوبية الأولى في النص، وأن هذا التكرار نهض بوظيفة التقريب بين أجزاء السورة؛ حيث ألّف فيما بين آيها، وأعطى كثيراً من الثبات للإيقاع.

– الاستفهام في آية "البأرتة" تبكيتي توبيخي، وهو ترهيبي في آيات الترهيب، وترغيبي في آيات الترغيب، فهو يتجدد معنويا تبعا لما يأتي قبله.

– استحالة التقديم والتأخير، أو حتى استبدال بعض الألفاظ في النص بمرادفاتها، لمناسبة كل لفظة للسياق الواقعة فيه شكلاً ومضموناً .

– سيادة الوصف، حيث يصل عدد الأوصلف الصريحة إلى ثلاثة عشر وصفاً .

والواقع أن توظيفه للإجراءات الأسلوبية في دراسة نسيج النص، كان في محله؛ فلا أنسب لهذا المقام منها؛ وذلك ما تؤكده النتائج الجيدة التي توصّل إليها، حيث تميزت الدراسة بالطابع الشمولي، إذ وضح الناقد خصائص مفردات النص وتراكيبه، وبيّن انسجام عناصره، ودرس الأساليب المهيمنة، وكانت تأويلاته وتخريجاته غاية في الإقناع، كما أنه استخدم إجراء الإحصاء بقدر مناسب ينأى بالدراسة عن الجمود. ويبقى النص –مع ذلك– منفتحاً على المزيد من التأويلات.

- **البنية الإيقاعية**

يفتتح الناقد هذا المستوى بمقدمة منهجية، تخص تصنيف الخطاب القرآني، هل يكون مع الشعر، أم مع النثر؟ وبناء على تحليل المسألة، وصل إلى أنه لا من الشعر ولا من النثر، وإنما هو قرآن، وإذا كانت بعض الآيات فيه يمكن أن توزن بميزان عروضي، فهذا واقع في الكلام العادي كذلك، وحسبنا أن الله برّأه من هذه الصفة الإبداعية الدنيوية. كما تضمنت المقدمة مفهوم الإيقاع وهل هو مرادف لمفهوم السجع والتقفية ؟ فبّين أن القدامى صنّفوا هذه المصطلحات، وخصّوا كل جنس من الكلام بما يلائمه، فجعلوا السّجع للنثر الأدبي، والقافية للشّعر العمودي. وختم المقدمة بخصائص البنية الإيقاعية في القرآن عموماً ؛ ففي تصوره، أن تعريف الآية القرآنية يقوم أساساً على الإيقاع، وأن القرآن يتخذ في كل سورة بنية إيقاعية خاصة، تطبع السورة بطابع التفرد، فيما تتنوع الأبنية الإيقاعية في السورة الواحدة أطواراً أخرى[1].

- **الإيقاع الخارجي:** يحدد الناقد البنيات الإيقاعية المتوفرة في سورة الرحمن، ويجدها ثلاثة أبنية:(آن) (آم) (آر)، أما الهيمنة فكانت للأولى؛ إذ تكررت في أواخر الوحدات الإيقاعية (الآيات) سبعاً وستين مرّة، وتتركب من ألف ونون ساكنتين، وبهذا تكون قد تخلت عن وظيفتها الإعرابية؛ لتؤدي وظيفة التأثير الإيقاعية. ثم حدد الخصائص الصوتية للألف والنون، وأشار إلى كثرة تواترهما في الخطاب العربي، وذلك

[1] عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، ص263-273.

تجسيد لعروبة النص القرآني؛ واستحواذهما على إيقاع الآيات، يندرج ضمن الإطار الطبيعي للمادة اللغوية، الملائمة لنسج الكلام في الاستعمال العربي الشائع، ثم بّين مزايا صوت النون؛ فهو نشيط وكثيراً ما أغرى الشعراء منذ القدم بالتركيز عليه، لما فيه من الغّنة والعذوبة في النطق[1]. ويواصل الناقد دراسة البنيات المتبقية، بالمنهجية نفسها.

– **الإيقاع الداخلي:** صادف الناقد في السورة نفسها ثماني تشكيلات إيقاعية، راعى في تمثلها البناء الداخلي مع الخارجي وتماثل النسيج في الأسلوب، والتكافؤ في التقابل مرفولوجياً، والتماثل في التشاكل نحوياً وتركيباً. ومثال ذلك التشكيلة الإيقاعية الأولى: (علّم القرآن – خلقَ الإنسان)؛ ويصفها بالتشكيلة العجيبة التي تقوم في الآيتين المتعاقبتين على ثلاث فتحاتٍ متتالية، تتحكم في طبيعة الصّوت في الفعلين المتقابلين: (عَلَّم – خَلَقَ)، ثم على اسمين معّرفين يتألّف كل منهما من سبعة أحرف، وينتهي بألف لّينة ونون ساكنة: (القرآنْ– الإنسانْ)، وقد تماثلا هما أيضاً في البداية والنهاية: (الـ.....آن). وعلى هذه الشاكلة سار الناقد يدرس البنيات الإيقاعية الأخرى[2]. ونخلص في الأخير إلى النتائج التالية:

– تكشف هذه الدراسة الجادة، عن خبرة الناقد وحذقه في توظيف الإجراءات النّقدية على كافة المستويات، وترصده مواطن الجمال في النص القرآني بذائقة فنية قوّية،

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني ، ص274–278.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص287–288.

والتزامه المنهجي بالمقدمات قبل التحليل، وعدم إغفاله الجزئيات الدقيقة كما الكليات، ونجاحه في تهجين المناهج وفق ما يتطلبه النص سعياً لشمولية الدراسة، ثم اختيار الإجراءات التي يقتضيها كل مستوى، والجمع بين التّراث والحداثة. فقد أبرز جماليات عروس القرآن (سورة الرحمن)، وقدمها في أحسن حلة، فحقَّ عليها قول المولى – عز وجل–: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1].

2.2– الشعر: (قراءة في كتاب ألف – ياء):

جرى (مرتاض) في كتبه السّيميائية التطبيقية التي تناولت الشعر بالدراسة، على منهج موحّد في عمومه؛ يقوم على الدراسة المستوياتية التي تتوزع بين بنية القصيدة، كما حدث في كتابي (ألف–ياء) و(السبع المعلقات)، والحيز الشّعري والزمن الشعري والتشاكل التي اعتمدها في جميع دراساته الشعرية، وكذا دراسة الإيقاع الداخلي والخارجي، وهو الحاصل في معظمها، والانزياح في بعض منها مثل (شعرية القصيدة)، ودراسة نظام النّسيج اللغوي، كما في (السبع المعلقات).

كان ذلك بمنهج مركّب، يركز على السيميائية، ويدعمها بالتفكيكية أو الأسلوبية، وفق ما تمليه طبيعة كل نصّ. كما تتحكم الخصوصيات المنوطة بطبيعة موضوع كل قصيدة وميزاتها الأسلوبية الخاصة، في التركيز على إجراءات من تلك المناهج دون أخرى.

---

[1] الرحمن / 78.

و يعتبر كتابه (ألف- ياء) نقلة نوعية للتأسيس الفعلي للاتجاهين السّيميائي والتفكيكي، يتألف الكتاب من مائتين وتسع وسبعين صفحة، وتتقاسمه فصول ستة، يبدأها الكاتب باستهلال عنونه كالآتي: (كلّما قرأت الأدب الجزائري ازددت له حبّاً)، ردّاً على مقولة أحد البحثة: (كلما قرأت الأدب الجزائري، ازددت له كرها !) ويبّين الناقد العنت الذي لقيه الأدب الجزائري منذ الاحتلال إلى اليوم، ومن ذلك أن ما ترجم منه كان في إطار مسعى سياسي إيديولوجي، وأن ما نُشر منه ظل كالمخطوط لرداءة الطبع ومحدودية التوزيع، وأن الأعمال الأدبية التي كتبت بالفرنسية ظلت تعاني إشكالية الانتماء[1].

وبعد الاستهلال تأتي الفاتحة، شرح فيها أبجدية عنوان الكتاب، واللّطائف التي اعتمدها في اصطناعه؛ فهو يتكون من حرفين (ألف – ياء)، مع عنوان فرعي يكشف عن مضمون الكتاب،والألف هي أول ما يشكّل الأبجدية العربية، والياء خاتمتها، وينشأ عن ذلك ضمناً وضوح انتماء الكتاب إلى الثقافة العربية. وبما أن العمل تجربة نقدية جديدة ومحاولة لتأسيس نزعة تحليلية للنص الشعري، كان من المناسب أن يطلق عليه عنواناً ينتمي إلى جنس اللغة الجديدة، ثم إن عنوان النص الشعري الذي يدرسه العمل يبتدئ بألف ثم ياء (أين ليلاي؟)[2].

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف ياء)، ص7-10.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص14-15.

وينتقل إلى تعليل اختياره النص الشعري (لمحمد العيد)، الذي كان عن قصد، بعد أن جال طويلاً في قصائد ديوانه، ولاحظ فيه من الخصائص الفنية ما لم يلحظه في غيره، ومن ذلك اصطناعه للرمز لأول مرة في الشعر العربي الحديث في الجزائر[1].

وبعد الفاتحة يكون التمهيد، الذي يتشاطره عنوانان: (تحليل النص الأدبي بأيّ منهج يكون؟)

و(الماركسية والتقويضية). وفيه يعرض لتصوره لما ينبغي أن يقرأ عليه النص الأدبي، وكنا قد بسطنا القول في هذا خلال دراستنا لمقدمات كتبه المنهجية [2]. ويعمد الناقد بعد ذلك إلى عرض نبذة عن المرتكزات الفلسفية للتقويضية (التفكيكية) التي أسسها (جاك دريدا) بتطويرها عن البنوية، والتي تقوم على تقويض النص ثم تطنيبه من حيث هو ممارسة لغوية، وتخوض في شقها النقدي في أمر الكتابة ومفهومها. ثم عرض للصّراع الذي احتدم بين الاتجاهين الماركسي البنوي، وبين التقويضية. ويدعو في ختام هذا التمهيد المنهجي إلى ضرورة تحديث المناهج ونبذ القديم منها، وعدم التعصب لأحدها ضد الآخر، وأن يكون الدارس في قلق منهجي وبحث مستمر عن المنهج الذي يبلّغه غايته[3]. وبعدها يأتي على الفصول التي اقترحها. ونعرضها فيما يلي:

---

[1] عبد الملك مرتاض: (ألف ياء)، ص21.

[2] ص 109_110 من هذا البحث .

[3] ينظر عبد الملك مرتاض: المرجع السابق، ص46-59.

- **بنية القصيدة لدى محمد العيد**

يتحدث هذا الفصل عن خصائص بنية القصيدة في ديوان (محمد العيد)، سعى من خلال الناقد إلى التعيمم قبل التخصيص، وإلى تحديد موقع القصيدة التي اختارها للتحليل من الديوان، وموقع القصيدة العيدية بعامة من الشعر العربي، فمن غير المنهجي معالجة النص الشعري بمعزل عن بنية قصائد الديوان الأخرى[1]، وتلك خطوة منهجية جد هامة. وقد تناول الناقد بنية القصيدة العيدية من حيث خصائص البناء وتقنيات النسيج، وخصائص اللغة والإيقاع. وفيما يلي عرض للنتائج التي توصل إليها[2]:

– بعد استقراء الناقد لمائة وعشرين قصيدة من الديوان، توصل إلى أن (محمد العيد) ظل ثابتاً في مساره الشعري، فقد ظلت بنية شعره تقليدية، تقوم على تقاليد بناء القصيدة العربية العمودية، بالرغم من أن قصائده تلك استمرت أكثر من نصف قرن.

– موضوعات الشاعر ملتزمة، تتوزع بين الوطنية والاجتماعية والسياسية والتّأملية، كان (محمد العيد) من خلالها شاعر الجزائر بحقّ.

– معدّل أبيات القصيدة العيدية في المسح الذي أجراه الناقد على مائة وعشرين قصيدة ومقطعة، يستقّر في معدّل 39.4٪، كانت السيادة فيها للقصائد المتوسطة، وبذلك عدّه الناقد أطول الشعراء الجزائرين القدامى والمعاصرين نفَساً .

---

[1] عبد الملك مرتاض: (ألف–ياء)، ص63.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص63–94.

– طغت على قصائد الشاعر خمسة إيقاعات، أكثرها تواتراً: (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن)، إذ بلغت القصائد التي تجري عليه إحدى وعشرين قصيدة؛ ويعود ذلك إلى مناسبة سلالمه الإيقاعية للتعبير عن الأحزان، والأصوات المحمومة، التي تنعى الظلم والاستبداد، وتشهّر بالقمع، وتطلب الحرية، وذلك هو دأب الشاعر.

– اختار الشاعر الرويّات المألوفة في عيون الشعر العربي نحو (الراء والميم)، مع حسن انتقاء اللفظ والعبارة.

– وفّق الشاعر في تناول موضوعات معاصرة – آنذاك – وخلّص الشعر من المدح والهجاء والغزل المبتذل، ولكنه لم يفلح في تطوير القصيدة العربية شكلاً؛ وبذلك كان آخر شاعر جزائري يحافظ على تقاليد الشعر العربي العمودي.

وما يلاحظ على هذه الدراسة، أنها كانت تقليدية عرضت للمضامين ومدى جدتها، والإيقاعات السائدة، ومقدار الطول والقصر في القصائد، نظراً لاعتماده شمولية النظرة، والتي تقتضي الوصف العابر والإحصاء.

- **بنية اللغة في نص (أين ليلاي ؟)**

أ- **إطلالة سيميائية على النص:** يركز الناقد في هذا الفصل على العناصر السيميائية الآتية[1]:

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص97-105.

– البناء الدائري للقصيدة، إذ تنتهي بما تبتدئ به: (أين ليلاي، أينها؟) وبذلك تكون مفتوحة النهاية، إلا أنها مغلقة القصة؛ إذ لم تعثر الشخصية الشعرية (الشاعر) عن الموضوع المنشود (ليلاها) فاستسلمت لليأس.

– انضواء النص تحت بنيتين: (تطلّعية)، وفيها تتطلع الشخصية الشعرية إلى موضوعها،ويظهر ذلك في مثل البيت: (هَلْ قَضَتْ دِينَ مَنْ قَضَى *** فِي الْمُحِبِّينَ دِينَهَا؟)[1].
و(قهرية)أين يُقمع هذا التطلع، وذلك في مثل قوله: (حيل بيني وبينها)، وبين البنيتين علاقة صراع.

– يتضمن النص (شفرة) خاصة بالعشاق (ليلى)؛ التي أصبحت رمزاً للعشق الحقيقي في الثقافة العربية منذ أواخر (ق.1هـ)، ويدل ذلك على تفاني الشاعر في حب هذه القيمة التي ظل ينشدها إلى أن تحررت (الجزائر).

– (ليلى) الشاعر رمز مفقود وموجود معاً، والبحث عن هذا الرمز هو ما يشكل الموضوع، والعلاقة بين الشاعر وليلاه هي علاقة غرامية في الظاهر، وعلاقة كينونة الذات والبحث عن الهوية الوطنية في خبايا الرمز. في حين أن العلاقات المتحكمة في النص هي الحب،الجمال،والفقدان.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، (د.رط)؛ 2010، دار الهدى، الجزائر، ص41.

ب- بنية اللغة:

عالج الناقد البنية اللّغوية للنص بإجراءات تقويضّية (تفكيكّية)، وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة[1]:

-وجد الناقد أن لغة الشاعر كانت بسيطة مفهومة، ولكنه تفّرد فيها بشكل جعله يسمو بشعره إلى مستوى رفيع في زخرفة القول. فالمادة الخام واحدة وهي اللغة، ولكل شاعر ميزات معينة في نسيجه الشعري.

-يقوم النص على ثلاثة عشر بيتاً (أو ثلاث عشرة وحدة شعرية) يسودها الاستفهام الصريح والضمني، ويمكن تقسيمه إلى السؤال عن مكان ليلى (أين؟) - وهو مفتاح لسلسلة من القيم التي تشكّل المثل العليا لهّم الشاعر -، وعن علّة تمنعها (مالِ...؟)، وعن نسبة إخلاصها له (هل؟).

- يتساوى عدد الأفعال مع عدد الأسماء في مبتدآت الوحدات؛ وهو توازن بين أهم العناصر اللسانية في اللغة، وبذلك تساوت الحركة مع السكون في القصيدة، والبنية هذه تعكس بنية التاريخ؛ فالشعب الجزائري آنذاك لم يكن مستعّداً بعد لشن الثورة، ولا كان راضياً عن الوضع.

-تنهي أغلب الوحدات (ثمانية) بأسماء تدل على الرتابة والسكون، ويؤول الناقد هذا بغلبة اليأس على النص.

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص105-126.

– يقوم النّظام الفعلي للغة القصيدة على تقابل الأفعال نحو: (هل قضت دين من قضى) (تعرّفت سرها وتعشّقت زينها).

– يتقابل النظام الاسمي مع النظام الفعلي: (مهجاتٍ فدينها)، (قلوباً علِقنها)، (عيوناً بكينها).

ويتداخل النظامان في النص ليكونان بنية إيقاعية متميزة.

ج– المعجم الفني للغة في النص:

عمد الناقد إلى لغة النص، وحاول استكشاف اللغة (المادة الجامدة) التي أكسبها الاستعمال النصي دلالات جديدة عبر نظام من الشفرات، ووصل إلى أن المعجم الفني يصبّ في محورين: (الحب والعشق /البين والعذاب). ومنه استخرج الألفاظ الأكثر تكراراً، وهي على الترتيب (ليلى، أين، العين، القلب، البين، البكاء، الّدين وبين). ثم راح يستنبط تخريجات لسرّ ترداد كل منها؛فَـ(ليلى) تمثّل صلب المعجم الفني، وتستأثر بثقله –إذ تواتر ذكرها ما لا يقل عن اثنين وعشرين مرّة تصريحاً أو بالإضمار – وتتحكم في كل علاقة دلالية، من التساؤلات المثارة، والعين الباكية والقلب الهاوي...فكل ما يتردد من حولها، فهو يتردد من أجلها[1].

وانطلاقاً مما سبق ذكره نرصد الخصائص الآتية:

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: (ألف–ياء)، ص126–131.

إن دراسة (مرتاض) المتعلقة بالبنية اللّغوية العيدية، تجاوزت السطحية، وأوغلت في العمق، حيث استطاع إحصاء الظواهر البارزة، وتعليلها بما لا يتنافى مع التاريخ والواقع الذي عاشه الشاعر؛ فتوصل إلى إدراك الأسرار الكامنة وراء اللغة – انطلاقاً من إجراءات سيميائية وتفكيكية – مبتعداً عن مجرد النظرة الانطباعية أو الذوقية التي تعج بها الكثير من كتب النقد الحديث.

- **نص (أين ليلاي) بين المخاض وتمثل المخاض:**

أ- **تأويل الرمز في القصيدة:** يستعين الناقد هنا (بالهرمينوطيقا)(Hurmèneutique) أو التأويلية لتجاوز العلاقة النقدية البسيطة إلى رؤية تأويليلة لإثراء رموزه؛ فالرمز (ليلى) ليس المراد به المرأة ولا العشيقة، وإنما هو رمز لشبكة من القيم النبيلة والمثل العليا التي تتجلى أساساً في الحرية. وأن الحب لا يقوم بين الشاعر وليلى / الحرية، وإنما بين الشعب الجزائري كله وبين الحرية؛ فالشاعر خرج من دائرة (الأنا) الضيقة إلى دائرة الجماعة، و(أنا) في النص هي الجزء الذي يراد به الكل[1].

وقد وجد الشاعر أن النص المطروح من الوجهة التأويلية يقوم على أربع دعائم: الأسطورة (كقيمة فنية) والمجسدة في شخصية (ليلى) وذلك ما يحمل الكثير من الأصالة، والمعاناة الروحية التي يقيمها الموضوع على قيمة الحب الذي يشبه معاناة المتصوف في حبه للذات الإلهية، والقيمة السياسية، فموضوع النص هو قضية الشعب الجزائري، ثم

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص135-140.

القيمة التاريخية؛ إذ يرتبط الموضوع بتاريخ الشعب الجزائري الذي حالت بينه وبين ليلاه قوة الاحتلال الباغية[1].

ب- جو النص: حلل الناقد في هذا الجانب بعض الأيقونات تحليلاً سيميائياً، ثم عمد إلى تفكيك نص القصيدة إلى وحداته الأولى.

يرى الناقد أن لغة الشاعر في القصيدة ليست خالصة الأدبية؛ أي ليست ذاتية الغاية، إنما أراد بها التعبير وعكس الواقع، قبل أن يفكر في الإبداع الخالص. وعلى الرغم من تقليدية البنية الشعرية للنص، إلاّ أنه عثر فيه على نماذج أيقونية (مماثلات)، أهمها الأيقونة (ليلى)، وهي تمثل صورة بصرية لعالم المثل والقيم غير البصرية، فعلى الرغم من أن النضال والحرية قيم ذهنية معنوية،إلاّ أن الشاعر تمثّلها وقربها إلى الأذهان بواسطة العاكس المرئي الذي هو شخصية (ليلى)[2].

وفي تقويضه لوحدات النص، نشر معاني كل وحدة أو بيت شعري على حدى، ليصل به إلى ما كان عليه قبل أن ينظم كامل الإيقاع والأدوات الفنية، من أجل تمثّل الجو الذي أُنشئ فيه النص، والذي افترضه الناقد افتراضاً [3].

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص144-169.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص144- 146.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص169.

والحقيقة أن هذا التقويض لا أراه يتعدى مجرد الشرح الموسع لكل بيت، أو بالأحرى لكل شطر من أبيات القصيدة العيدية – على الرغم من بساطة لغة النص – وهي طريقة سلكها لكسر الرتابة في تحليل النصوص، واستفادة القارئ العادي منه لا أكثر، على حدّ قوله.

- **الحّيز الشعري:**

بعد خوض الناقد في مفهوم الحّيز، يصّنف أحياز النص إلى أربعة أنواع، من أجل ضبط تفاصيل كل منها، وهي:

– **الحّيز التائه:** تلُقي الشخصية الشعرية سؤالاً حائراً لا تجد من يتلقّاه، فتعيده إلى نفسها، فتكون بذلك هي البّاثة والمستقبلة للرسالة في الوقت نفسه. وتطغى على هذه الرسالة صفة الحيرة واليأس، فالبحث عن الحيز المفتوح (حّيز ليلى) لا يعني إلاّ ضيقاً شديداً بالحّيز الراهن الذي لم تجد فيه الشخصية الشعرية إلاّ الشقاء والاضطهاد. و الحّيز هنا لا ينصرف إلى الأرض الجغرافية (الجزائر) وإنما هو حّيز روحي نفسي وهو الضيق بالوجود الذي كان يحتوي الشخصية الشعرية، فيحملها على البحث في كل اتجاه[1].

– **الحّيز الممنوع:** هو الحيز الذي حُرمت الشخصية الشعرية من العثور عليه، بعد أن انطلقت في كل الاتجاهات بلا جدوى، فحّيز (ليلى) المعّمى، يوجد في كل اتجاه،

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف–ياء)، ص180–184.

وينعدم أيضاً في كل اتجاه. ويمثل هذا الضرب من الحّيز عبارات من مثل (حيل بيني وبينها)[1].

- **الحيز المتحرك:** تمثّله جملة من مجازات النص، مثل: (يا عيني اذرفي، روّعتني ببينها). و الحّيز المتحرك هنا معنوي، يتمثل في العواطف الجياشة والانفعالات الطافحة بالحزن، وتصاحب هذا الحّيز حركة تسعى إلى التخلص من الحّيز الثابت، والاستعاضة عنه بالحّيز المطلوب[2].

- **الحّيز القاصر عن الاحتواء:** يتضح في قوله (السماوات والأراضي جميعاً نفينها، أُنهجاً ما حوينها) ، فالحّيز الثابت الشاسع الذي هو السماء، يضيق برحابته عن احتواء الموضوع (ليلى) لأنه لا يتقيد بمكان[3].

- **الحّيز الحالم:** لّما كانت الأحياز الحقيقة (الأماكن الجغرافية) عاجزة عن احتواء الموضوع، تمسكت الشخصية الشعرية بحّيز وهمي حالم، وتعلّقت بالأطياف اللّواتي يحكين (ليلى)[4].

لقد فتحت السيميائية مجال التحليل والتأويل واسعاً أمام الناقد، فأخذ يولّد من الحّيز الواحد أحيازاً كثيرة، لا غرابة ما دامت النصوص تنفتح على قراءات لا متناهية.

---

(1) ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء) ، ص184-188.

(2) ينظر المرجع نفسه ، ص188-193.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص193-194.

(4) ينظر المرجع نفسه، ص195-197.

والجيد أنه كان يجتهد في تبرير كل تأويل يركن إليه، حتى لا يبقى في نفس القارئ شيئاً من الرّيب في قبول ما يذهب إليه. والجيد كذلك هي اللغة التي يتفرد بها (مرتاض)، لها من العلمية والدقة المصطلحية مالها، ولها من الأدبية أكثر من ذلك، فهي لغة تراثية، تسرح بخيالك إلى العصور الذهبية للغة، وعصرية، تعود بك إلى اللحظة الحضارية الراهنة، وأنعِم بها من مزية !

- **الزّمن الشّعري**

يدرس الناقد في هذا الفصل ما يسميه (بالأَزْمَنة): نظام الزمن الذي يتأسس عليه النّص المحّلل، وكيفية تعامل الشخصية الشعرية معه بثّاً واستقبالاً . وقد انتقى منه خمس نماذج:

- **الزمن التقليدي:** يشير الناقد إلى أن الأفعال الماضية تسود النص، بمعدل تسعة عشر فعلاً، وأن ذلك لم يكن إلاّ تجسيداً للبنية الجامدة التي يتميّز بها النص، ويدلّ على أن همّ الشاعر كان منصبّاً على الماضي يستلهمه ويستوحيه: (تعلّقتُ، رعى، تعشّقتُ...) ولم يذكر الحاضر إلاّ في معرض البكاء، أما المستقبل فلا يمثل بالنسبة للشخصية الشعرية سوى اليأس[1].

وأحسب أن الناقد قد وقع في تناقض، لما أشار إلى أن البنية الجامدة (الساكنة) هي التي تسيطر على النص، لأنه كان قد بين سابقاً – أثناء دراسته لبنية اللغة – أن

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص207-211.

الحركة تتساوى مع السكون في النص نظراً للتوازن الذي وقع بين عدد الأفعال وعدد الأسماء، وربطَ هذا بحركة التاريخ[1]. وربما كان هذا سهواً منه خلال عملية التأويل، ولاسيما إذا كانت هذه الفصول قد كتبت في فترات زمنية متباعدة.

- **الزمن الممنوع:** كان الناقد قد عبّر عن المعنى نفسه في الحيّز الممنوع (الحائل)، أما في سياق الزمنية؛ فهو يعني زمن المنع المطلق والحظر القائم، فزمن الحيلولة في عبارة (حيل بيني وبينها) يتسم بالطول من الوجهتين المادية والنفسية[2].

- **الزمن اليائس:** وتجسد من خلال قوله: إيهِ يا عَيْني اذْرفي *** لَنْ تَرَيْ بَعْدَهَا (لَمْ يُجِبْنِي سِوى الصَّدَى)[3] فالحيلولة القاسية والبْين المبرح، والحب العميق، كلها عوامل كانت قادرة على الدفع بالشخصية الشعرية إلى الحزن واليأس والبكاء، فأصبحت تتحدى نفسها بنفسها (لن تري)، (ولن) هنا أخذت وظيفة نفي الزمن الرّخي، وإثبات ضده. ويجسد الزمن الماثل في الصدى الكاذب قمة الزمن اليائس[4].

---

(1) عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص117.

(2) ينظر المرجع نفسه، ص212-220.

(3) محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص42.

(4) ينظر عبد الملك مرتاض: المرجع السابق، ص220-225.

- **الزمن المريع:** ويمثّله قوله: رَوَّعَتْنِي بِبَيْنِها *** لارَعَى اللهُ بَيْنَها [1] فالزمن المريع هو زمن الخوف الذي خلف زمن الأمان، وزمن الضنك الذي عقب زمن الهناء والعيش الرغيد.

- **الزمن الحالم:** ويظهر في قوله: (تَرَقْرَقَتْ بالطُّيوفِ اللَّواتِي حَكَيْنَهَا) إذ تلهث الشخصية الشعرية وراء الكائنات الجميلة التي تماثل الموضوع[2].

ما يلاحظ على دراسته للزمن الشعري، أنه عمد إلى بعض النسائج الشعرية التي درسها كحيّز شعري، ثم قلبها تقليباً آخر لتدل على الزمن. وأن بعض المقاطع في هذا التحليل تشبه النثر الفني، نحو المقطع الآتي:" فأين الزمن الأغرّ الأبر الذي ظلتم تنشدون ؟ أقروا ! إنكم لا تستطيعون أن تحلموا، أن تعيشوا زمناً حالماً، إلاّ إذا عثرتم على ليلاكم الأسطورة... ستجيبكم ليلى العجائبية بصوتها الوديع الحالم الذي سيخيّل إليكم أنه كان يرنّ في مسامعكم منذ الأبدية الأولى" [3]!

فلو اجتُزئ هذا المقطع، وقُرأ معزولاً عن النص، لظن القارئ أنه من جنس الحكاية أو الرواية.

---

[1] محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص41.

[2] ينظر: عبد الملك مرتاض: (ألف-ياء)، ص230-235.

[3] المرجع نفسه: ص234-235.

- **جمالية الإيقاع:**

يفتتح (مرتاض) هذا الفصل بمقدمة منهجية عن الإيقاع في آراء القدامى، وصوره في الخطابات النثرية والشعرية والدينية (القرآن)، ثم يبين تصوره حول مفهوم الإيقاع؛ فهو يتكون من الّروي، والقافية، والتماثل النسجي الداخلي والخارجي والسجع، وقد يكون أعّم من العروض نفسها، فيتخلل نسيج النص في كل مظاهره الصوتية والإيقاعية[1]. ثم يتمثل إيقاع هذه القصيدة كالآتي:

– **الإيقاع التركيبي:** هو نوع من الإيقاع العام يخص الخطاب الأدبي بوجه عام. وقد رصد الناقد عدة فئآت إيقاعية كفئة (الحركة فالسكون) (/0)، على النحو الآتي:

أَيْ.....في (أين ليلاي – البيت الأول)

هَلْ..... (البيت الثاني)

أَصْ....في (أَصْلَتِ القلب – البيت الثالث)

وهذه المقاطع الصوتية المتماثلة هي التي تطبع المطالع في سبعة أبيات من ثلاثة عشر، فالفونيم (/0) استأثر بالبنية الإيقاعية في المطالع[2]. ومضى الناقد على هذا النحو يوضح الفئآت الإيقاعية الأخرى.

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: (ألف–ياء)، ص239–249.

[2] المرجع نفسه، ص250.

الإيقاع الداخلي:

ويقصد به الصوت الذي تنتهي به نهايات صدور الوحدات، أو الأعاريض، ولهذه النهايات وظيفة الربط بين شطري البيت الواحد، وأول ظاهرة يشير إليها الناقد هي (التّصريع) الذي تكرر خمس مرات: (أينها= بينها)، (نارها = حينها)، (سرها = زينها) (بينها = بينها) (علقنها = بكينها) إذ يقوم الإيقاع الداخلي على ما قام عليه الصوت الأول في نهاية المصراع الأول من البيت الأول، ويستمر قائماً على امتداد صوتي مفتوح في عشرة مصاريع. ويحمل في طّياته دلالة الحزن والألم والشقاء والاستغاثة والشكوى التي تخرجها الهاء، وزاده عمقاً ما أُشبع به من امتداد مفتوح[1].

- الإيقاع الخارجي:

لم يـُعن (مرتاض) بمجرد الّروي، إنما تجاوز ذلك إلى التوقف لدى المقاطع الصوتية التي انتهت بها أبيات النص، وقارنها مع ما كان عالجه من أمر نهايات المصاريع الأولى في النص، ثم قدم تأويلا لهذه المظاهر الصوتية، وبّين بعض وظائفها الجمالية.

فالإيقاع وقع موحَّداً في مقطعين صوتيين اثنين (نها) في نهاية كل بيت: (بينها/دينها/حينها/...) والمواد الإيقاعية والصوتية التي استعملت لنسج البنية الإيقاعية الخارجية، تتمثل في: (بين / دين / حين / زين /....). أما الوظيفة الإيقاعية الجمالية

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: (ألف- ياء)، ص256-266.

ههنا، فتتجلى في الاستجابة الشعرية للمصاريع الأولى، والنسج على المنوال الإيقاعي لنهايات الأبيات السابقة واللاّحقة معاً، وأداء ما في النفس من هّم وحزن[1].

- تأويل الإيقاع في النص:

يجتهد الناقد في وضع تأويلات قائمة على انطباعاته حول القصيدة وذوقه، ومنها أن الإيقاع تراوح بين الطّول والقِصَر، فوقع بينهما؛ لتجسيد النص للهم الوطني والتاريخي الذي احتوته نفس الشاعر، فلو كان خفيفاً لأَطْرَبَ، ولو كان طويلاً لَرَزُنَ، ولَما استطاع في الحالتين أن يمثل الاضطراب الواقع في نفسه[2].

وبذلك كله يكون الناقد قد تجاوز الملاحظات الإيقاعية التراثية المبكرة للنقاد القدامى، إلى مستوى النظريات الحديثة حول الإيقاع الشعري، كدراسة المقاطع الصوتية وتقاطعاتها وإظهار وظائفها الجمالية، كما أنه اضطلع بدراسة الإيقاع التركيبي للنص، وهي التفاتة حديثة قلّما ترد في الدراسات التي تناولت الإيقاع.

ولعلها أول دراسة تستوفي معظم جوانب النص بإجراءات لمناهج معاصرة – على هذا النحو – في شعر محمد العيد، فالدراسات التي عنيت بالشاعر لم تتجاوز حياته وشخصيته وتجاربه، وشعره من حيث تطوره وأغراضه، مثل دراسة (أبو القاسم سعد الله):

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: (ألف- ياء)، ، ص266-273.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص273-277.

(شاعر الجزائر – محمد العيد آل خليفة) (1961)، أو شعره الإسلامي، أو بعض الظواهر اللّغوية والأسلوبية فيه، في أحسن الأحوال.

3.2- النثر: (قراءة في كتاب: تحليل الخطاب السّردي)

تتلخّص جهود الناقد السّيميائية التي اشتغلت على المدونات السردية في أربعة أعمال: وهي كالآتي:

- ألف ليلة وليلة (تحليل سيمائي تفكيكي لرواية حمال بغداد) (1989).
- تحليل الخطاب السّودي (معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية "زقاق المدق") (1995).
- جماليات الحّيز في مقامات السيوطي (1996).
- شعرية القصّ وسيمائية النص (2014).

فقد بدأ مساره النقدي في التحليل السّيميائي للخطاب السّردي، بكتابه (ألف ليلة وليلة) موفّقاً بين التراث والنظريات اللّسانية بما فيها السيميائية، اعتمد فيها دراسة الحدث في (حمّال بغداد) الذي يفضي تلاحمه إلى تشكيل المادة الحكائية، ثم الشخصية ووظائفها وأدوارها، والحّيز وأصنافه، وتقنيات السّرد كعنصر أساسي في النسيج الروائي، والزمن، وخصائص البناء في لغة السّرد (لغة الحوار ولغة السارد)، وختم بدراسة الإيقاع. وقد استفاد في ذلك من إجراءات سيميائية وتفكيكية وأسلوبية وبنيوية وإحصائية.

ولم يحد عن هذا المنهج كثيراً في كتابه (تحليل الخطاب السردي)؛ إذ دار التحليل حول البنى السّردية، ووظائف الشّخصيات،وتقنيات السّرد، والزمان والمكان، وبيان بعض الخصائص الأسلوبية والسيميائية للرواية المدروسة، باعتماد التوليف بين المنهجين السيميائي والبنيوي، بشكل أساسي، وبحضور المنهج الإحصائي.

بينما ركّز على الحّيز وجمالياته في دراسته حول مقامات السيوطي، وكان منهجه سيميائياً بامتياز في كتابه شعرية القص وسيميائية النص، الذي درس من خلاله مجموعة قصصية، بعنوان (تفاحة الدخول إلى الجنة) (لسلطان العميمي)، وركّز في الدراسة على نظرية الحّيز والزمان.

يأتي كتابه محلّ الدراسة تحت عنوان شمولي ثابت: (تحليل الخطاب السردي)، يوضح الجنس الأدبي الذي يختص التحليل بالاشتغال عليه، وتحته عنوان فرعي متحول، يحدّد نوع المنهج، والمدونة المدروسة. ويتوزع على ثلاثمائة وثلاث صفحات، يتقاسمها قسمان: يسِم الأول بـ (البنى السردية) وهي كالآتي: (البنية الطّبقية، البنية المعتقداتّية، والبنية الشّبقية)، ويكّون كل منها فصلاً كملاً. أما القسم الثاني فيعنونه بـ (التقنيات السّردية)، وتتفرع إلى (دراسة الشّخصيات، تقنيات السّرد، الزمان والمكان، وخصائص الخطاب السّردي)، إذ يشكل كل منها فصلاً قائما بذاته.

وتفتتح الدراسة– كالعادة – بمدخل يطرح إشكالية المنهج، تحت عنوان: (التحليل الروائي...بأي منهج ؟)، حيث تدور هذه الإشكالية حول إمكانية تأسيس منهج ثابت

لجنس أدبي متحوّل ومتطوّر،و الذي يراه ضرباً من العبث. ثم حَوْلَ طبيعة المنهج الذي يستطيع استيعاب عالم الرواية المعقّد. وبعد عرضه لتطوّر النقد الذي صاحب الكتابة الروائية، وبيانه القصور في كلّ منها منفرداً يطرح اقتراح التفكير في سعي جديد للإفادة من كل التجارب النقدية السابقة، لولوج عالم السرد العميق، الذي لا يمكن أن يستوفيه منهج يقوم على أحادية الخطة والرؤية والإجراءات[1].

ويفصح – بعد هذا – عن خطّته المنهجية في تحليله نص (زقاق المدق)؛ التي تجمع بين التّيارين البنيوي والسيميائي، يقول في هذا الصّدد: "عدلنا عن البنوية التكوينية، وآثرنا بنوية مطعّمة بتيارات حداثية أُخراة، وخصوصاً السيميولوجيا التي أفدنا منها لدى تحليل ملامح الشخصيات، ولدى تحليل خصائص الخطاب السّردي، الذي لم نستنكف من الإفادة أيضاً من بعض الأدوات اللسانية للكشف عن ميزات السّطح فيه، على حين أنّ المنظور البنوي الخالص ظاهَرنا على الكشف عن البنى العميقة والفنّية المتحكّمة في هذا الخطاب السردي" [2].

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص3-10.

[2] المرجع نفسه، ص18.

وانتقل الناقد إلى خطوة منهجية أخرى، وهي تعليل اختياره لرواية (زقاق المدق)[*]، الذي تم انطلاقاً من دوافع موضوعية، تتجلى في القيمة الأدبية الرفيعة التي تحفّ أعمال (نجيب محفوظ) والتي لم تستوفها حقها بعدُ الدراسات التي تناولت أعماله، إذ ركّزت في أغلبيتها على ثلاثيته. بالإضافة إلى الدعوة التي تلقاها من جامعة القاهرة، للإسهام في الندوة العالمية التي أقيمت في (1990) حول (نجيب محفوظ). ودوافع أخرى ذاتية، تمثلت في كون الرواية أول نص قرأه للأديب، أيام الدراسة بجامعة الرباط، فارتبط حنينه بها[1]. ونعرض فيما يلي نتائج دراسته هذه وخصائصها، وفق الترتيب الذي وردت عليه.

أ - البنى السّردية في (زقاق المدق):

قسمها الناقد إلى ثلاث بنيات: (طبقية، ومعتقدية، وشبقية) بناءاً على وضع النص في إطارْيه الزماني (أثناء الحرب العالمية الثانية)، والمكاني (حي شعبي بالقاهرة)، حيث يكشف النص عن بنيته بنفسه، وعبر مواقف شخصياته وهواجسها ومطامحها[2].

---

[*] صدرت الرواية سنة (1947)، وتحولت إلى فلم سينيمائي عربي في (1963)، ثم انتقلت إلى السنما الغربية الإسبانية في 1995.

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص20-29.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص36-37.

- **البنية الطبقية:**

يدرس هذا الفصل الصّراع الطّبقي في المجتمع الذي تركض فيه أحداث العمل الروائي، كظاهرة تتحكم في علاقات الناس، بغية ترصّد المواقف عن عيّوت عن هذا الشعور(الصراع) أو جسّدته. تتجلى تلك المواقف في: العداء الطبقي، والقهر الاجتماعي والنفسي، والفقر[1].

فالعداء الطبقي ظهر في الكراهية المكشوفة في سلوك بعض الشخصيات الفقيرة وكلامها مثل (زيطة) الذي كان حاقداً على الأغنياء، وكذا احتقار الشخصيات الغنية مثل (سليم علوان) للشخصيات المسحوقة، ويتضاءل هذا الموقف الطبقي حينما يصطدم بقضاء مصلحة لدى الطرفين[2].

وأما القهر؛ فيتقرر في كثير من المواقف التي تفقد فيها الشخصية توازنها النفسي، أو تتعرض للظلم الذي لا تستطيع له دفعا، أو تقع في موقف تُرغم عليه. وهو مكمل للبنية الطبقية التي تقوم على تباين الأوضاع الاجتماعية، وينقسم إلى نفسي واجتماعي. وتقوم البنية القهرية في أكثر الأمر حول شخصية (حميدة) التي تسلط القهر على أشد الشخصيات علاقة عاطفية بها، وهما (عباس الحلو) و(فرج إبراهيم)[3].

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي: ص33-37.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص37-46.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص47-52.

وأما عن الفقر؛ فهو واحد من الدعائم التي تقوم عليها البنية السردية في الرواية، إذ لا يوجد بين الشخصيات إلا غنياً واحداً (سليم علوان) ، وشخصيتين متوسّطتي الحال (سنّية عفيفي) و(رضوان حسيني)، والبقية إماّ عمال كادحون، أو تجار محرومون، أو عاطلون متسكعون. ويسعون إلى تحسين أحوالهم بالطرق الشرعية وغير الشرعية. ويضطلع الفقر في الرواية بتحديد مواقف الشخصيات بعضها من بعض، وتوهج عواطفها وخمودها[1].

- **البنية المعتقداتية:**

وتتأرجح في النص – حسب الناقد – بين المعتقدات الّدينية القائمة على تأدية الشعائر والإيمان بالغيب، والمعتقدات الشّعبية كالإيمان ببركة الأولياء وكراماتهم الخارقة.

أما الأولى، فتظهر من خلال جملة صالحة من الاقتباسات القرآنية والاستشهادات الدينية، حيث ترد التّدخلات الدينية الخالصة بما لا يقل عن عشرات المرات، ومنها ما يستغرق أربع صفحات أو أكثر، مثل خطبة (رضوان الحسيني) لدى إزماعه على الحجّ[2]. ولم يستحسن الناقد هذا، واعتبره توقفاً غير اضطراري لمسار السّرد، يسيئ للبنية السردية، ولا ينهض بأي وظيفة فنية. كما اضطلعت الشخصية نفسها بتعليل مظاهر الحياة،خيرها وشرها، تعليلاً قائماً على التماس الحكمة في مظاهر الألم.

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص52–60.

[2] ينظر نجيب محفوظ، زقاق المدق، (ط1)؛ 1972، دار القلم، بيروت_ لبنان، ص225–228.

ويكون التّدين في النص إما نفعيّا لغاية ما، وإما صادقاً مثلما هو عند (رضوان الحسيني، أو ظاهرياً فقط. وفسّر الناقد تركيز الأديب على الّدين باحتمالين: إما لشدة تدّينه، أو جعل الشخصيات متدينة لغاية فنية كإقامة التوازن بين الخير والشر في النص[1].

وأما البنية الثانية (المعتقداتية)، فيترصدها الناقد في سلوكيات بعض الشخصيات، والتي تتجلى في القَسَمِ (بالحسين)، والإيمان بقدرة الأولياء على الإحاطة بكل شيء، والاعتقاد بولاية بعض الأشخاص، وتطلع الشخصيات إلى زيارة أضرحة الأولياء، والاعتقاد والتفاؤل ببركتهم، والفزع إلى الكهنة والسّحرة للتغلب على صعوبات الحياة، ممثلاً لكل لذلك من النص. وفي الأخير، رصد ظاهرة ولع الشخصيات بترداد الأمثال الشعبية على غرار الأشخاص الحقيقين في حياتهم اليومية[2].

- **البنية الشبقية:**

يفتتح الناقد هذا الفصل بإشارة منهجية لمسعاه فيه، إذ يوضح أن غايته من خلاله ليست تعليلاً جنسياً لسلوك الشّخصيات –كما تفعل المدرسة الفرودية – فهو يرفض تماماً فكرة التحليل النفسي للنصوص، وينعته بالمسعى العقيم، وإنما الغاية من دراسة البنية الشّبقية في هذا الفصل، هو تسجيلها كظاهرة تطفر في تركيب بعض الشخصيات، التي أُريد لها أن تكون كذلك مجاراةً للواقع وحرصاً من النص السردي على تجسيده. وهو

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص63–76.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص77–99.

مسعى أتاح للناقد تفكيك الكثير من عناصره العميقة والسطحية. ثم يعرض في النص إلى مظاهر النشاط الجنسي التي كانت مثار توتر، أو سعادة أو لذة بين الشّخصيات، وألفاها في معظمها غير متوازنة تتسم في كثير من مراحلها بالغدر والخيانة أو سوء التقدير. وتتضطلع هذه البنية في عمق النص بوظيفة خلخلة العلاقات بين الشخصيات؛ حيث تنتهي كلها إلى شيء من الشقاء وسوء العاقبة. كما توفرت هذه البنية على علاقات جنسية مشروعة[1].

والخلاصة أن تحليله للبنى السردية في (زقاق المدق)، كشف عن الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية وطبائع الشخصيات، والعلاقات التي تحكمها، والدوافع والحوافز التي تشكل تلك العلاقات. ولم يكن تناوله لها يتوقف عند مجرد تسجيل المظاهر الاجتماعية والدينية، بل كان يتعدّاه إلى تحليلها، وتوضيح تأثيرها في العلاقات بين الشخصيات.

ب –التّقنيات السردية:

- **الشّخصية: البناء والوظائف:** الشخصية –كما يتصورها الناقد: "كائن حركي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص، دون أن يكونه" [2]، وتكاد تكون الشخصية في (زقاق المدق) كل شيء فيه، إذ تضطلع بالوظيفة الكلّية، ولا تكون

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص99–122.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص126.

العناصر الأخرى إلا مساعدة لها، كالحدث الذي لا يكون إلا بدافع منها، ونتيجة من نتائج تصارعها أو توآمها[1] وقد حصر الناقد مادته حول الشخصيات في أربعة محاور: (سيمائيتها، بناؤها المورفولوجي، بناؤها الداخلي، ووظائفها السردية)، ونوضح نتائج التحليل فيما يلي:

– في دراسته لسيمائيتها، عرض لأسمائها، بمراعاة العلاقة بين الاسم والمسّمى، مثل اسم (حميدة)– صاحبة المقام الأول في الحضور السردي بالنسبة للشخصيات– الذي بين وظيفته الاجتماعية والحضارية من خلال معناه، ثم وظيفته بعد أن تغيّر إلى (تيتي) الذي يعكس الميوعة، لّما وقع التحول في شخصية الفتاة، ففقدت صلتها بماضيها الشّقي إلى حاضرها الملّوث. كما درس الشخصية من حيث مرحلتها العمرية ودلالتها، كتوفر النص على الكثير من الشخصيات بسن الخمسين الذي يمثل عودة العُمر، ثم عمد إلى تحديد الشخصية الرئيسية (حميدة)، وارتكز فيه على درجة الوظيفة الموكولة إليها، لا على تواتر ذكرها، وصنف بقية الشخصيات بحسب أهميتها الوظائفية إلى مركزية وثانوية وعابرة[2].

– في دراسة بنائها المورفولوجي، سجل الناقد أن النّاص كان مولعاً برسم الملامح الخارجية أو المورفولوجية للشخصيات بكثير من التفصيل، ولم ينكب عن ذلك

---

[1] عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص127.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص127–147.

حتى مع الشخصيات ذوات الوظائف العارضة، فيحدد اللون، والقامة، والوزن، والصوت، والوجه بكل تفاصيله[1]؛ ويعود ذلك –في نظرنا –إلى المنحى الواقعي للرواية. ولم يزد الناقد ههنا على تحديد البناء المورفولوجي للشخصيات المركزية، ثم حَصْرِ الصفات التي تجتمع فيها.

–في دراسة بنائها الداخلي، اعتمد الناقد مدارسة الشخصيات المركزية باعتبار أهمية الوظيفة الموكّلة إليها دائماً، محدداً خصائصها، إذ يقوم البناء الداخلي للشخصية الطاغية في النص (حميدة) على العنف والغضب، وإثارة الشغب والسِّباب في الزقاق، وحب المال الذي دفعها إلى فسخ خطبتها من (عباس) بسبب فقره، وهو الأمر نفسه الذي أدى بها إلى المتاجرة بشرفها[2]. وسار على هذا النحو مع باقي الشخصيات.

– في دراسته للوظائف السردية، عمد الناقد إلى الشخصيات المركزية، وحدد الوظائف الموكولة إليها، والعلاقة التي تربطها مع غيرها من الشخصيات، فأحصى أربع وظائف للشخصية الرئيسية (حميدة) –الأكثر تأثّراً وتأثيراً –: الانفصال عن الماضي التعيس، والدعارة، والتحول في القرارات، من مقت (عباس)، إلى الموافقة عليه، ثم فسخ الخطبة، ثم اللجوء إلى (فرج إبراهيم)، ثم الثورة ضده. فقد عاشت وظيفة سردية قائمة على القلق والاضطراب، أما تصنيفات علاقاتها فهي ثلاثة: علاقة الأمومة اتجاه

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص147–158.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص158–179.

مرضعتها، علاقة الأخوة اتجاه (حسين) الذي راضعته، علاقة الحب الذي كان من (عباس) لها[1].

يتّضح من خلال ما سبق، أن الناقد أبحر في عالم الشّخصيات، وكان سيكتب فيه مؤلفاً لوحده لولا أنه اجتهد في حصر التّحليل في نقاط معينة، والتركيز على الشخصيات المركزية. وكان يحاول التأويل والتعليل ما وجد إليه سبيلاً، حيث وصل إلى إضاءة الجوانب الشّكلية والداخلية فيها وعلاقاتها ببعضها.

- **تقنيات السرد:**

عقد الناقد في بداية هذا الفصل مقدمة نظرية، تناول فيها أهم أصول السّردانية، من مفهوم السّرد والسّارد، إلى علاقة السّارد بشخصياته، ثم أشكال السّرد، وذلك ما تتيح له مقارنة التقنيات السردية في(زقاق المدق)، مع ما هو معتمد في الكتابة الروائية الجديدة[2].. ونوجز تقنيات السّرد في الرواية المدروسة كالآتي:

– يصطنع هذا النص تقنية تأشيرية، توحي إلى المتلقي – خلال حدوث الفعل السردي – بأن حدثاً أهم سيقع حتماً، فهي ضرب من الإعلان المبكر لحدث على وشك الوقوع. وقد عرض الكاتب نماذج كثيرة من هذه التقنية، نحو فكرة الانتقام في

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص179–188.
[2] ينظر المرجع السابق، ص189–197.

عبارة:"...فتمنى أن يتمكن من طعن قلبها الغا در الخائن بُدية" [1] وهي تقنية مستخدمة في الرواية المعاصرة، من محاسنها تهيئة القارئ لاستقبال الحدث، ومن مساوئها كشفها عن المسار السردي بإيمائها إلى فعل سيتم[2].

– يغلب السرد على الحوار في النص؛ على عكس بعض روايات النّاص الأخرى مثل (ثرثرة فوق النيل) التي يسودها الحوار. وتقوم بنية الحبكة السردية في (زقاق المدق) على رؤية كلاسيكية، تعتمد على التسلسل المنطقي للزمن، وعلى طبيعة منطق العلاقات بين الشخصيات، وذلك ما يحكم النسج والحبكة، حيث لا يحدث شيئًا إلا بعلة. ويشيع هذا في بناء الأعمال الكلاسيكية، أما الرواية الجديدة، فلم تعد تعنى كثيرا بهذا النوع من البناء السّودي العضوي[3].

– يصطنع النص السردي تقنية التمويه الحدثي، إذ تخدع الشخصيات المتلقي بإصدارها أحكاما حدثية لا تقع، وتظل وهمًا، كقول حميدة لفرج إبراهيم: "لن أعدم طريقة للفتك بك" [4].

---

[1] نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص197.

[2] ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص199–204.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص205–208.

[4] نجيب محفوظ، المصدر السابق، ص217، وكذا عبد الملك مرتاض : المرجع السابق، ص 208_209

– استعمال ضمير الغائب، الذي يعني توجيه السّرد نحو الأمام انطلاقا من الماضي، وتتيح هذه التقنية للسارد أن يستعلي على شخصياته ويتحكم فيها، ويعرف عنها كل شيء[1].

– ولوع النّاص بالمناجاة (المونولوج الدّاخلي)؛ إذ أحصى الكاتب ما لا يقل عن أربعين تدخّلاً مناجاتياً، وهي تقنية سردية تتيح للحدث أن يكون في مستوى وسط بين السارد والشخصية المتدخلة، فالنّاص كان من أوائل الروائيين العرب الذي وظفوا هذه التقنية، بناءاً على تاريخ كتابة النص[2].

– توفّر النّص على تقنية (الإرتداد)، أو(العودة إلى الوراء)(Analepse)، إذ يميل النص إلى تقديم ماضي الشخصية انطلاقا من حاضرها، وتجلى ذلك –مثلا– في تقديم شخصية (سليم علوان) في بداية السرد كتاجر كبير الثروة، بعيد السمعة بين التجار، ثم يشرع النّاص في الارتداد إلى الزمن الماضي لسرد قصته مع أبنائه الثلاثة. ومن شأن هذه التقنية تكسير القيود الزمنية الرتيبة، واختصار الزمن والحدث، وتنشيط السّرد[3].

– يعتمد السّرد في النص على الإشارة (بالعين والحاجب والشّفتين...)، وهي إحدى تقنيات التوصيل الفنّي، وتقوم بين اثنين، ولما كانت أحداث النص تجري في

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص209–210.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص210–2169.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص217–21.

مجتمع شرقي محافظ، ينظر إلى العلاقة بين الرجل والمرأة بالحذر الشّديد، تقرر أن يكون لسيميائية الإشارة حضور مكين، ومن ذلك ما يتصل بعلاقة (فرج إبراهيم) مع (حميدة)، التي قامت على تسخير النظرة الدّالة، والغمزة المعبرة[1].

– سجّل الناقد ملاحظة انعدام الفروق في مستوى اللغة السردية، فكانت اللغة المستعملة في السّرد أحاديّة المستوى اللغوي، راقية حتى بالنسبة للشخصيات الأمّية – إلا في مواطن قليلة – في حين كان يفترض أن تتفاوت الشخصيات في مستويات اللغة المُتحّدث بها، تبعا لتفاوت مستوياتهم الثقافية والاجتماعية[2].

لقد لمسنا من خلال قراءتنا لهذا الفصل دقة الملاحظة لدى الناقد، وحرصه الشديد على تتّبع النص المحلل، بحيث يجمع للفكرة الواحدة أمثلة كثيرة، ولو لم تكن قراءته للنص جادة، لما أمكنه تحصيل كل هذه التقنيات –والرّواية على ما هي عليه من الطّول –، ثم سوقه نماذج عديدة لكل تقنية. كما لمسنا دقته المنهجية في حرصه على الإشارة إلى كل مصطلح يصطنعه، بتعليل وجهة نظره في اصطناعه، ومقابلته بنظيره لدّى الدارسين، مثل مصطلح (الارتداد)، وكذا مقدّماته المنهجية لكل إجراء كان بصدد توظيفه، يوضحه للقارئ، الذي ظل دائما حاضراً في ذهنه. وكذا خطوته المنهجية

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص219–221.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص223–226.

المتمثلة في عدم التقوقع والانحصار في النص المدروس، فنجده يقابل النص المدروس من حيث خصائصه، بما كُتب في زمن وجوده، أو قبله أو بعده.

- **الزّمان والمكان:**

يحدد مرتاض (الأَزْمنة) السّودية التي تّمت في النص بالنظر إلى السياق أو المؤشر، فقد ذكر السارد إشارات زمنية مجسدة في أعلام ودول وإمارات مثل (الفاطميين، الممالك، السلاطين) التي تشير إلى ثلاث فترات زمنية تعاقبت عليها ثلاث دول حكمت مصر، ومثل (هتلر، والجيش الإنجليزي في مصر)، التي تشير إلى فترة حديثة[1].

وتحصل معظم الأحداث الفاعلة في النص السردي ليلاً، حيث لا يقل ذكر الليل عن ثلاث وثلاثين مرة، فيستحيل الزمن اللّيلي في النص إلى وظيفة، حيث ظاهَر بعض الشخصيات_ بظلامه_ على التّخفي وارتكاب أفعال شنيعة، كفرار حميدة مع عشيقها، وعودة حسين إلى بيت أبيه، اللّذين كانا ليلاً [2].

وكان أكثر الأمكنة تواتراً في النص (زقاق المدق)؛ حيث ذُكر مائة واثنين وتسعين مرة، ولم يكن مقصودا لذاته، بل كان يمثل (مصر) كلها، إذ عمد السّارد إلى أصغر وحدة ممكنة في مدينة، وهي شارع صغير متقادم، ثم تدرج من وصفه إلى تحليل نفسيات مجموعة من الشّخصيات التي تسكنه، وكانت تلك الشخصيات تمثل كل النماذج

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص228-238.

[2] المكان نفسه.

البشرية الخيّرة والشريرة، الغنية والفقيرة، المتعلمة والسّاذجة، الوفية والغادرة، فاتسع هذا المكان الضيق لكل هذه الصّراعات. وصوره على أنه مكان متقادم متآكل، مظلم، رطب وقذر، ونهضت سيميائية القذارة في النص بدور الدّلالة على الفقر والتّخلف والانحطاط[1].

- **خصائص الخطاب السردي:**

تبيَّن الناقد من خلال قراءاته للرواية جملة من الخصائص الأسلوبية والسيميائية، التي تطبع نص (زقاق المدق) خاصة، والأعمال الروائية لـ(نجيب محفوظ)عموماً، ونوجزها فيما يلي:

– **خصائص أسلوبية:** وأولها الوصف؛ حيث بلغ عدد التدخلات الوصفية تسعة وعشرين تدخّلاً، انتشرت في النص متباعدة، وجاء في معظم أطواره قصيراً لا يتجاوز خمسة أو سبعة أسطر، وقد طال الأمكنة والشخصيات، وساعد السرد على النمو والتطور.وثانيها التكرار؛ ومن المضامين التي كان السارد كلِفاً بالحديث عنها شعر (حميدة) الطويل الأفحم، الذي تكرر ذكره تسع عشرة مرة على الأقل، ويحمل تكراره دلالة سيميائية، ذلك أن الشّعر الأسود الطويل يجسد أحد المقاييس الجمالية لدى الرجل

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص245–256.

الشرقي. وثالثها التشبيه؛ وقد وُظّف في النص سبعاً وستين مرة، مُمِدًا الدّلالة بالثراء، ومختصراً المعاني الطويلة في عبارات قصيرة[1].

– **خصائص سيميائية:** وشملت ما يلي[2]:

– العنوان: يقوم هذا النص على المكان ووحدته،فـ(زقاق المدق) هو المحور الذي تدور حوله كل الأمكنة في النص، وهو يرتبط ارتباطاً عضوياً بنصه ويعكسه بأمانة ودقة، فيوشك أن يحدد موضوع القصة وبيئتها. وذلك هو دأب (نجيب محفوظ) في روايته؛ إذ تتصدرها عناوين مكانية.

– التّناص المباشر: ألفى الناقد الرواية تتناص مع القرآن الكريم في ثلاث وخمسين موضعاً، جاء على لسان (رضوان الحسيني)، فالسارد يحفظ القرآن الكريم، وهي العلة الأولى في أخذ لغته منه.

– الروائح: تمثل الرائحة أيقونة شمّية؛ تُحيل على طبيعة الشخصية أو المكان، وقد ورد ذكر الروئح الكريهة في النص ما يقارب السّتين مرة، وهي تعكس تعاسة البيئة، في حين لم تذكر الرائحة الطيبة إلاّ ستّ مرات.

– يركز النص السردي على سيميائية النّظرة، أو العين، التي وظفت في أكثر من مائتين وستين موقفاً، ووصفت العين بحوالي ست وثمانين صفة وفق ما تقتضي

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص264–276.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص276–299.

المواقف، وما يتكيف مع التركيبة النفسية والمورفولوجية للشخصيات، ونالت (حميدة) الحظّ الأوفر منها.

– الوجه: وَكَلَ النص السردي إلى الوجه وظائف تعبيرية، تعكس ما يختلج في النفس من مشاعر، فقد رصد الناقد زهاء مائة وعشرين تدخّلاً له، يخص معظمها الشخصية المركزية، وقد ألفى في بناء الشخصيات داخلياً ومورفولوجياً .

–الصوت: الصوت وملامح الوجه والنظر خصائص لا يرد ذكرها في الأغلب إلا تمهيداً لحوار بين الشخصيات، وهي تتكامل في أداء وظائفها. وتكررت المواقف التي يكون فيها للصوت شأن أكثر من خمس وسبعين مرة إذ تتمثل الصفة الصوتية الأكثر اشتراكاً بين الشخصيات في الغلظ والخشونة والفظاظة، ولم يذكر الناقد لهذا تأويلاً .

– الألوان: تتسم الألوان في النص بالتكرار، وحصرها الناقد في لونين: الأسود وما في حكمه وهو الطّاغي على النص، إذ يأتي بنسبة مائة وسبع وعشرين مرة، ويعكس التشاؤم، والشر، والذّم والغضب، فيما يرد اللون النوراني زهاء خمس وثمانين مرة، ويجسد التفاؤل والخير والمدح.

ويتضح مما سبق أن الناقد لم يعتمد إجراء الإحصاء من أجل الإحصاء، وإنما اتخذه كأداة تسهّل رصد الظواهر المنتشرة، والتي تمثل فيما بعد خصائص النص. وتَأكّد من خلال هذا التحليل نجاعة المزاوجة بين الإحصاء والتأويل الذي تتيحه السيميائيات.

ويلاحظ جنوحه عن اعتماد إجراء تقطيع الخطاب السّردي – عكس ما هو معتمد عند نقاد آخرين مثل (عبد الحميد بورايو) و(رشيد بن مالك) – الذي يمكّن من الإحاطة بدلالات النّص، واستخلاص وحداته المعنوية، ومعالجة المُكوّن السّودي بتحديد الحالات والتّحولات داخل السّرد، ورصد البرنامج السّودي، وهو ما ينقص دراسته هذه.

يعدّ هذا العمل من بين الدراسات الجادة التي تناولت (زقاق المدق) أو غيرها من روائع (نجيب محفوظ) من ناحية فنية وتقنية، وبمنظور نقدي معاصر، نحو: (الرمزية في أدب نجيب محفوظ) لـ (فاطمة الزهراء سعيد) (1981)، و(بناء الرواية–دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) لـ (سيزا قاسم) (1984)، و(بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ) لـ (بدري عثمان) (1986) وغيرها.

ولم يخرج (مرتاض) في أعماله الثلاثة المدروسة –من القرآن والشعر والنثر–عن المنهج المركّب، المرتكز أساساً على السيميائية، كمنهج ثابت، وعلى البنيوية والأسلوبية والتفكيكية كمناهج متحولة.

ولم تختلف إجراءاته السيميائية المعتمدة في الأعمال الثلاثة، إلاّ بالقدر الذي تختلف فيه النصوص نفسها من حيث جنسها ومضامينها، وخصائصها الفنية، وطبيعتها، كسورة (الرحمن)التي راعى الناقد فيها قدسية الخطاب القرآني، وأخضع التأويل السيميائي للثوابت الدينية، وكالرواية التي حضرت فيها تقنيات السرد ووظائف الشخصيات –على

الرغم من غياب إجراء التقطيع-، كما غاب فيها التشاكل والإيقاع، في حين حافظت بقية المستويات على تواجدها.

وقد تلقى (مرتاض) انتقادات كثيرة تخص منهجه النقدي أو ما يسمى باللاّمنهج، انطلاقاً من فهم خاطئ له، كعدم التفريق بينه وبين المنهج التكاملي؛ فاللاّمنهج في أبسط صوره لديه "يقتضي الدخول المحايد إلى النّص، والتّجرد -قدر المتاح- من الآليات المنهجية الصّارمة (...)؛ لمواجهة النص مواجهة مرنة، تتظاهر بأدوات منهجية قابلة للتطويع بما يعّمق عطائيته..."[1].

فمرونة المنهج لديه وانفتاحه ودرجة تطويعه لاستيعاب ما يتيحه النّص من خصوبة دلالية وجمالية، هو ما تقتضيه عطائية النّص[2]؛ وهي"ما يمكن أن يعطيه إّيانا نصّ أدبّي ما من خلال البحث في مكامنه وزواياه" [3].

لقد وضّحت نتائج هذه الدّراسة نجاعة المنهج المركّب عند (مرتاض) في تعميق التّأويل والتّحليل، ونأيه عن الفهم الأحادي القاصر، وعن السّقوط في التلفيق، كنتيجة لتجربته الطّويلة في التعامل مع النّصوص.

---

[1] يوسف وغليسي: في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية)، (ط2)؛2012، دار جسور للنشر والتّوزيع، الجزائر، ص307.

[2] المرجع نفسه، ص306.

[3] عبد الملك مرتاض: النّص الأدبي من أين وإلى أين، (د.رط)،1983، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص54.

الخاتمة

من خلال خوضنا في رحلة البحث المتعلّقة بموضوع التفّكير السّيميائي لدى (عبد الملك مرتاض)، عبر محطات زمنية متتالية، بداية بأصول النّظرية السّيميائية ومبادئها، واتجاهاتها، وأدواتها النقدية، وإرهاصاتها في النقد العربي القديم، وتمثّلها من النّقاد العرب المحدثين على المستتويين النّظري والإجرائي، مروراً بالتفكير النقدي السّيميائي في الجزائر، واستجلاء بداياته ورواده، والمؤثرات التي قادتهم إلى تبّنيه، واتجاهاته المعتمدة، وتجلياته في أعمالهم نظرياً وإجرائياً، وصولاً إلى الجهود السّيميائية عند (عبد الملك مرتاض) ببيان روافده المعرفية عموماً والسيميائية خصوصاً، ثم مساعيه في التنظير للسيميائيات، وتطبيقه إجراءاتها على مدونات مختلفة، نخلص إلى النتائج الآتية:

– لم يكن التفّكير حول العلامات ولادة معاصرة، فقد سبق ظهوره من خلال تصورات ومفاهيم نظرية ناضجة، مختلطاً مع القّير حول اللّسان، وتجلى ذلك في الخطاب الفلسفي اليوناني، وفي ثنايا الفكر العربي القديم، وفلسفات القرون الوسطى الأوروبية وعصر النهضة.

– كانت التّصورات السّيميائية القديمة متفرقة في مختلف المباحث الفلسفية، والمنطقية، واللّغوية وغيرها، وبناء عليه تُرست كل علامة في إطار مجالها الخاص، وضمن العلم الذي يدرس هذا المجال، بعيداً عن سائر العلامات في المجالات الأخرى. ثم أصبح ممكناً مع السّيمياء الحديثة استجماع مختلف العلامات من مجالات متنوعة

ضمن مبحث واحد عام، يركّز على الخصائص المشتركة بينها. وبهذا أخذت طابعاً موسوعياً ، جعلها تكتسح جميع المجالات والعلوم.

-للّسيميولوجيا علاقة وثيقة بالنموذج اللغوي اللّساني البنيوي، الذي أرسى دعائمه (دي سوسير)، وتبناها فيما بعد كل السّيميائيين بعده.

- يقوم مشروع تحليل الدلالة في السّيميائيات على بعض المسلمات والمبادئ القاعدية، تتمثّل في مبدأ المحايثة، والتحليل البنيوي، وتحليل الخطاب.

- تتعدد الاتجاهات السّيميائية بتعدد المنطلقات الابستمولوجية لعلمائها،واهتمامهم بالمظاهر المختلفة للعلامة، وتعدّ سيمياء التواصل، وسيمياء الدلالة، وسيمياء الثقافة من اتجاهاتها المتميزة.

- يعتبر التّحليل السّيميائي للنصوص منتجاً، يعدّ قدرة التأويل جزءاً من إنتاجه، ويمر عبر مرحلتين: أفقية، يتم فيها التفّكيك البنيوي للوقوف على المعاني السّطحية الظاهرة والمستخلصة من بنية النص، عبر عدد من المستويات ؛ لحصر الظواهر الطّاغية والعلاقات الترابطية. وعمودية ؛ يتم فيها الوقوف على الدّلالات العميقة أو الخفية.

- توزعت الإشارات السّيميائية عند العرب القدامى على علوم متباينة كاللّغة، والبلاغة، والفلسفة، وعلم الأصول، والتفسير -تبعاً لموسوعية الفكر لديهم - وكان القرآن الكريم الموجه الأساسي للدرس السيميائي عندهم، حيث خاضوا في مجالات سيميائية -

سبقوا بها الغرب – مثل مفهوم العلامة، وطبيعتها، وأنواعها وتصنيفها. وتوصلوا تدريجياً إلى تعميم مجال أبحاث الدلالة على كل أصناف العلامات – متبعين منهجاً استقرائياً – مع الاعتماد على الدلالة اللّفظية كنموذج أساسي، وبذلك تعدّ جهودهم من البوادر الأساسية للتفكير السيميائي.

– أخذ المنهج السيميائي في النقد العربي الحديث يتأسس خلال الثمانينيات من بوابة المغرب العربيويُ عدُّ أكثر الاتجاهات النقدية المعاصرة سيطرة على السّاحة العربية، والأكثر تأثيراً على المنظومة الفكرية المعاصرة، إذ تجلى عبر مستويات عدة: المؤسسات والمخابر الجامعية، المجلات، الترجمة، والتأليف.

– ما يميز الجهود الترجمية العربية بصفة عامة، افتقارها لاستراتيجية ترجمة وتعريب، تراعي خصوصية المصطلح السيميائي في بيئته الخاصة، والبيئة المنقول إليها، إذ انطلق كل ناقد من اجتهاداته الشّخصية، وكان هذا مدعاة للوقوع في فوضى المصطلح، و غياب التنسيق ابتداءًمن اسم العِلْم نفسه.

– جُلّ ما لأَ فَ الدارسون العرب المحدثون من أبحاث سيميائية كان نظرياً ؛ يهدف إلى التأريخ لهذه النظرية، وتأصيلها، والتعريف بها، بغية إرجاعها إلى أصولها التي انبثقت عنها، وتحديد العلوم التي أسهمت في بروزها، والإشارة إلى إجراءاتها المنهجية.

– كان الناقد (عبد الملك مرتاض) هو من حمل مشعل السّبق في الممارسة النقدية السّيميائية بعد (محمد مفتاح)ولعلَّهما اللّقدان الوحيدان اللّذان التزما بشكل جادٍّ،

نقل النظرية السيميائية من مهادها النظري إلى ميدان التطبيق، عبر تفعيل إجراءاتها على النصوص الأدبية.

– أعلن الناقد الجزائري انفتاحه على النظرية السيميائية – خاصة الفرنسية منها ذات التوجه الغريماسي – وشرع يفيد من مقولاتها النقدية بداية من ثمانينيات القرن العشرين.

– ويرجع فضل السبق في نقل النظريات اللّسانياتية الجديدة –بما فيها السّيميائية – وفي استيراد المفاهيم والمصطلحات إلى سوق النقد الجزائرية إلى الباحث (عبد الملك مرتاض) ؛ وذلك بالنظر إلى الاتجاه العام الذي سلكه في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم الحضارية، فضلاً عن تجربته ومراسه مع الحداثة وأعلامها.

– تجسّدت أهم دوافع تبني الخطاب النقدي السّيميائي في الجزائر، وأسباب كونه الأكثر حضوراً في المشهد النقدي، في أن جُلَّ الذين تبنوه، كانوا قد درسوا في فرنسا على يد مجموعة من المفكرين، الذين يعدّون من أقطاب السيميائية الحديثة، أو أفادوا من مظان سيميائية لهم.

– تقاسم الدّراسات السّيميائية الجزائرية اتّجاهان أساسيان: السيميائيات الشّكلانية، وسيميائيات " بيرس"، وكان الاتجاه الأول أكثرهما ترسّظاً في دوائر البحث الأدبي في الجزائر؛ باعتبار احتكاك بعض الباحثين الجزائريين بكبار السيميائيين في (باريس) وعلى رأسهم (غريماس). ولم يعتمد بعض السيميائين الجزائريين على وحدة الاتجاه، إذ جمعوا

بين اتجاهين سيميائيين، في حين لم يلتزم باحثون آخرون باتجاه معين مثل (عبد الملك مرتاض).

– مرَّ المنهج السيميائي في الجزائر بمخاض عسير، جسَّدته مراحل متدرجة، تأرجحت بين الرفض والقبول، وبدأت بمحاولة التأسيس للنظرية من خلال التعريف بها وعرض أصولها أوَّلاً، ثم بسط مفاهيمها ومصطلحاتها ثانياً، من خلال ترجمة بعضها، وتعريب بعضها الآخر، ثم القيام ببعض الممارسات التّطبيقية وفق آلياتها، وبذلك لا يخرج النقد السّيميائي الجزائري عن المسار الذي اتخذته السيميائيات على المستوى المغاربي أو العربي عموماً .

– يعدّ (عبد الحميد بورايو) من الرواد الذين اهتموا بنقل النظرية السيميائية إلى الجزائر، وتتنزَّل أعماله النقدية التي أسهم بها في تنشيط حركة النقد وتجديده في الجزائر، في سياق الدراسات الحداثية التي يمَّمت شطر السَّرديَّات في مقاربتها للنصوص السرديَّة التراثية الشعبية.

– تعوداليد الطُّولى في البحث في الأصول العلمية والمعرفية التي انبنت عليها النظرية السيميائية، ومساءلة أبعادها الفلسفية والإبستمولوجية التي تُمكِّن من استيعابها، للباحثَيْن (رشيد بن مالك) و(أحمد يوسف).

– يبرز الناقدان (عبد الحميد بورايو) و(رشيد بن مالك) في مجال ترجمة البحوث السيميائية الغربية إلى العربية. وبغض النظر عن الجانب الكيفي، تبقى هذه الجهود

ضئيلة جداً مقارنة مع الجهود التّرجمية في دول المغرب الشّقيقة، أو في العالم العربي عموماً، فواقع التّرجمة في الجزائر لا يبشر بالخير– رغم احتضانها للمعهد العالي العربي للترجمة، ووجود معاهد متخصصة بالترجمة في بعض جامعاتها– في ظل غياب قانون أساسي يؤطّرها، لذلك يدعو بعض الباحثين السيميائيين إلى ضرورة بعث هيئة وطنية تعنى بالترجمة، وتسطّر سياسة واستراتيجية تعيد الاعتبار للترجمة كأولوية وطنية.

– النتائج التي قدّمتها الممارسة السيميائية في الجزائر غير كافية ؛ فهي مازالت على عتبة السيميائيات، منشغلة بالمداخل، ومكّرسة للمرحلة الأولى من تطّور البحث السيميائي ؛ ومكتفية بنقل مبادئ السيميائيات، وتقديم بعض التّطبيقات، وظلّت مساعيها ذات أهداف تعريفية وتعليمية بحتة، تنقصها الروح الإبداعية –وهو مايحتاج إلى تمثُّل أعمق ومعرفة أوسع بأسسها الفكرية، وخلفياتها المعرفية ومختلف تياراتها المطّبقة في العالم – في الوقت الذي نجدها قد عرفت تطّوراً كبيراً في البلاد الأخرى، من حيث المفاهيم ومعالجة القضايا الأدبية. فتطورها في الجزائر مرهون بتطور البحث العلمي والدرس الأدبي، من حيث النوع خاصة.

– من الآفاق التي تسعى إليها الممارسة السّيميائية في الجزائر، تكثيف حضور السيميائيات في المسرح، وتطوير النقد السينيمائي بإدراج الفن السابع في معاهد الفنون والآداب، وكذا إنشاء المعهد العالي للسينما.

– تنوعت روافد تكوين (عبد الملك مرتاض) بين التراثية والحداثية، واعتمد الناقد مشارب متعددة في كتبه النقدية السيميائية، مثل التيار السّيميولوجي الذي تزعمه (دي سوسير)، وسيميوطيقا (بيرس)، وسيميائيات المدرسة الفرنسية الغريماسية، كما أفاد من طروحات سيميائيين آخرين أمثال (بارط) و(أمبرتو إيكو) وغيرهما.

– لم يحتفِ (عبد الملك مرتاض) بالتنظير للسّيميائيات احتفاءه بالتطبيق، وهذا ما يؤكده البون الواضح في إحصاء مؤلفاته النظرية مقارنة بالتطبيقية، حيث لا تشكل الأولى إلا ثلاثة من مجموع أربعة عشر مؤلفاً. وتبرز أعماله النظرية مساعيه لاستيفاء آراء بّناءة، بغية تأسيس نظرية موجهة في القراءة، حيث بحث أهم الأسس والمبادئ التي تحكم أي نظرية لقراءة النص الأدبي. والناقد ذو نفَس طويل في التأليف، يغوص في الجزئيات، ويجمع المتفرقات، ويقارن بين المتشابهات، وذلك مايمنح لمؤلفاته قيمة علمية ليست بالهينة.

– يعُد (عبد الملك مرتاض) من أكثر النقاد العرب اهتماماً بالمنهج، فقد احتفى بالمسألة المنهجية احتفاءً بالغاً على امتداد أربعة عقودٍ، مركزاً –في مقدماته المنهجية – على الدعوة إلى التجديد دون إهمال التراث، وبعيداً عن التقليد الأعمى للنظريات الغربية، مع اجتناب الوقوع في النظرة الأحادية للمنهج الواحد وتعليل قصور الإجراء الأحادي النقدي – شأنه في ذلك شأن الناقد المغربي (محمد مفتاح) – بالإضافة إلى الحرص على تناول النص الأدبي تناولاً مستوياتياً، ومراعاةشموليته، حيث يُدرس شكلاً ومضموناً، دون

فصل أحدهما عن الآخر. والتأكيد على انفتاحية النص الأدبي على قراءات متعددة، وبيانه المسار المنهجي المعتمد في كل دراسة تطبيقية، والذي يركز فيه على التركيب بين الإجراءات السيميائية والتفكيكيةخصوصاً .

– تأتي إشكالية المصطلح السيميائي في طليعة انشغالات (عبد الملك مرتاض)، إذ يهتم به اهتمامه بالمنهج النقدي.وفي ذلك نجدهيوظف ثروته اللّغوية التي تمتد قواعدها إلى الموروث العربي، ويخوض في تفرعات المصطلح، محكوماً بالحدود العامة التي وضعها البلاغيون والنحويون، والسيميائيون الغربيون أيضاً، وينحت مصطلحاته بخصوصية وتفّرد. أما بخصوص ترجمة الأعمال السيميائية الغربية، فلم يقدم فيه الشيئ الكثير.

– حظي (عبد الملك مرتاض) بتجربة طويلة المدى في التعامل مع النصوص واستنطاقها، إذ اشتغل على نصوص كثيرة تتوزع بين القديم، والحديث والمعاصر، والفصيح، والشعبي، والديني (الخطاب القرآني)، والدنيوي، والشعري، والنثري (المقامة، والحكاية، والرواية)، بإجراءات من مناهج مختلفة.

– في دراسته لنظام الخطاب القرآني، أبدى (عبد الملك مرتاض) احترازاً وتأنياً ظاهرين في مسألة التأويل لتعلقها بالخطاب الإلهي، ولم ينزلق في الأغلوطات التي وقع فيها العلمانيون في دراسته للحيز القرآني. كما أبدى احتراماً للتراث مع الإفادة من الجانب المُشرق فيه، ورفض الجانب الآخر الذي اعتبره وسائط جدارية مُعيقة، حيث تفرد ببعض

التأويلات وخرج فيها عما اتفقت عليه كتب التأويل. وسلك في دراسة الزمن القرآني مسلك الدراسات اللّسانية والسّيميائية المعاصرة، وترتب عن ذلك إعطاء الدّراسةطابعاً حداثياً، و ظهور نتائج إيجابية في تمثل الزمن القرآني وفهمه. كما اجتهد في التّحليل السّيميائي في وضع الزمن الاسمي، على عكس ماعُوف في النحو العربي.

– تميزت دراسته لنظام الخطاب القرآني بالطابع الشّمولي، إذ وضّح الناقد خصائص مفردات النص وتراكيبه، وبّين انسجام عناصره، ودرس الأساليب المهيمنة، وكانت تأويلاته وتخريجاته غايةً في الإقناع، كما أنه استخدم إجراء الإحصاء بقدرٍ مناسب، ينأى بالدراسة عن الجمود. ويبقى النص –مع ذلك– منفتحاً على المزيد من التأويلات.

– تكشف هذه الدراسة الجادة، عن خبرة الناقد وحذقه في توظيف الإجراءات النقدية على كافة المستويات، وترصده مواطن الجمال في النص القرآني بذائقة فنية قوية، والتزامه المنهجي بالمقدمات قبل التحليل، وعدم إغفاله الجزئيات الدقيقة كما الكلّيات، ونجاحه في تهجين المناهج وفق ما يتطلبه النص سعياً لشمولية الدراسة، ثم اختيار الإجراءات التي يقتضيها كل مستوى، والجمع بين التراث والحداثة.

– جرى (مرتاض) في كتبه السّيميائية التطبيقية التي تناولت الشعر بالدراسة، على منهج موحّد في عمومه ؛ يقوم على التّحليل المستوياتي الذي يتوزع بين بنية القصيدة، والحّيز الشعري، والزّمن الشعري، والتشّاكل، وكذا دراسة الإيقاع الدّاخلي

والخارجي، ونظام النسيج اللغوي –وهو الحاصل في معظمها– والانزياح في بعض منها. وكان ذلك بمنهج مركّب، يركز على السيميائية، ويدعمها بالتفكيكية أو الأسلوبية، وفق ما تمليه طبيعة كل نصّ. كما تتحكم الخصوصيات المنوطة بطبيعة موضوع كل قصيدة وميزاتها الأسلوبية الخاصة، في التركيز على إجراءات من تلك المناهج دون أخرى.

– ابتعد الناقد في دراسته لنص (أين ليلاي ؟) عن مجرد النظرة الانطباعية أو الذوقية التي تعج بها الكثير من كتب النقد الحديث، متجاوزاً الملاحظات الإيقاعية التراثية المبكرة للنقاد القدامى، إلى مستوى النظريات الحديثة حول الإيقاع الشّعري، كدراسة المقاطع الصوتية وتقاطعاتها وإظهار وظائفها الجمالية، كما أنه اضطلع بدراسة الإيقاع التركيبي للنص، وهي التفاتة حديثة قلّما ترد في الدراسات التي تناولت الإيقاع. واجتهد في تبرير كل تأويل يركن إليه، بلغة تجمع بين الدّقة العلمية، وبين الخصائص الأدبية. ولعلها أول دراسة تستوفي معظم جوانب النص (بنية اللغة، الرّمز، الحيّز، الزّمن، الإيقاع) بإجراءات لمناهج معاصرة.

– كانت جهوده في مجال تحليل الخطاب السّردي أقل منها في تحليل الخطاب الشعري، وهي تنحصر في أربعة أعمال. وقد سجّلنا خلال قراءتنا دراسته حول رواية (زقاق المدق) دقة الملاحظة لدى الناقد ، وحرصه الشديد على تتّبع النص المحلل، بحيث يجمع للفكرة الواحدة أمثلة كثيرة.

–كان الناقد حريصاً على الإشارة إلى كل مصطلح يصطنعه، بتعليل وجهة نظره في اصطناعه، ومقابلته بنظيره لدى الدارسين، ووضع مقدمة منهجية لكل إجراء كان بصدد توظيفه، يوضحه للقارئ، الذي ظل دائما حاضراً في ذهنه.

– لم ينحصر الناقد في النص السّردي المدروس، إذ نجده يقابله –من حيث خصائصه – بما كُتب في زمن وجوده، أو قبله أو بعده. كما أنه لا يعتمد إجراء الإحصاء من أجل الإحصاء، وإنما اتخذه أداة تسهّل رصد الظواهر المنتشرة، والتي تمثل فيما بعد خصائص النص. وثبتت من خلال هذا التحليل نجاعة المزاوجة بين الإحصاء والتأويل الذي تتيحه السيميائيات.

– عدل الناقد عن اعتماد إجراء تقطيع الخطاب السردي إلى مقاطع، ومعالجة المكّون السردي بتحديد الحالات والتحولات داخل السّرد، ورصد البرنامج السّردي – وهو ماينقص هذه الدراسة – عكس ماهو معتمد عند نقاد آخرين مثل (عبد الحميد بورايو) و(رشيد بن مالك)، بينما اعتمد دراسة البنى السّردية، والبناء والوظائف في الشّخصيات، وتقنيات السّرد، والزمان والمكان، والخصائص الأسلوبية والسيميائية.

– يعدّ كتابه (تحليل الخطاب السردي) من بين الدراسات الجادة التي تناولت (زقاق المدق) أو غيرها من روائع (نجيب محفوظ) من ناحية فنية وتقنية، وبمنظور نقدي معاصر.

– ولم يخرج (مرتاض) في أعماله الثلاثة المدروسة – من القرآن، والشعر، والنثر –عن المنهج المركّب، المرتكز أساساً على السّيميائية، كمنهج ثابت، وعلى البنيوية والأسلوبية والتفكيكية كمناهج متحولة. ولم تختلف أدواته السيميائية المعتمدة فيها، إلاّ بالقدر الذي تختلف فيه النصوص نفسها، من حيث جنسها ومضامينها، وخصائصها الفنية، وطبيعتها، كسورة (الرحمن) التي راعى الناقد فيها قدسية الخطاب القرآني، وأخضع التأويل السّيميائي للثوابت الدينية، وكالرّواية التي حضرت فيها تقنيات السّرد ووظائف الشّخصيات، وغاب فيها التشّاكل والإيقاع، في حين حافظت بقية المستويات على تواجدها.

– جرى (عبد الملك مرتاض) في ممارساته السّيميائية الأخيرة على تخطي تحليل الخطابات، إلى مجال أوسع استعان فيه بالأنثروبولوجيا، في دراسة الطّقوس، واللّباس، والحلّي، من خلال نصوص المعلّقات.

_ لقد وضّحت نتائج هذه الدّراسة نجاعة المنهج المركّب عند (مرتاض) في تعميق التّأويل والتّحليل، ونأيه عن الفهم الأحادي القاصر، وعن السّقوط في التلفيق، كنتيجة لتجربته الطّويلة في التعامل مع النّصوص، وكاستجابة لما يقتضيه النصّ من مرونة في المنهج لاستيعاب عطائيته .

ملحـــــــــق

أين ليلاي

أين «ليلاي» أينها ... حيل بيني وبينها

هل قضت دين من ... في المحبين دينها

أصلت القلب نارها ... وأذاقته حينها

مذ تعرفت سرها ... وتعشقت زينها

روعتني ببينها ... لا رعى الله بينها

فتعلقت بالطيو ... ف، اللواتي حكينها

وتعللت بالمنى ... فتبينت مينها

ما لـ«ليلاي» لم تصل ... مهجات فدينها

وقلوبا علقنها ... وعيونا بكينها

إيه يا عيني اذرفي ... لن تري بعد عينها

السماوات والأرا ... ضي جميعا نفينها

كم تساءلت سالكا ... أنهجا ما حوينها

لم يجبني سوى الصدى ... أين «ليلاي» أينها ؟!

الديوان، ص 42_43

ثبت

المصطلحات الأجنبية

ثبت المصطلحات

ـ أ ـ

ارتداد	(Analepse)
إشارة أو علامة	(signe)
إشارة أو علامة (بالإغريقية)	(séméion)
الأمبريقية	(Empircism)

ـ ت ـ

التباين	(Hétérotopie)
التشاكل	(Isotopie)
التَّفْكِير	(réflexion)

ـ ج ـ

جماعة "أنتروفرن"	(Groupe d'entrevernes)

ـ ح ـ

الحَيِّز	(Espace)
الحيز (باللاتنية)	(Spatium)

ـ ر ـ

الرّواقيون	(stoiciens)
الرمز	(Symbol)

ـ س ـ

السمة (باللاتنية)	(Signum)
سيمياء	(Sèmiotic)
سيميائيات	(sèmiotique)
السيميولوجيا _علم الدلالة	(sèmiologie)

ـ ع ـ

علامة أيقونية	(Signe ionique)
علامة رمز	(Signe symbolique)
علامة مؤشرية	(Signe indiciaire)
العِلم	(logie)
العِلم	(logos)

ـ غ ـ

غير أو آخر (بالإغريقية)	(Hétéros)

ـ ف ـ

الفكرة (المفهوم)	(Refererence)
فن التركيب	(Art De Combinatoria)

ـ م ـ

المحايثة	(Immanence)
مرتكز الممثل	(Fondement du reprèsentamen)
المرجع (المشار إليه)	(Referent)
مساوٍ (بالإغريقية)	(Isos)
المكان (بالإغريقية)	(Topos)
المماثل (الأيقونة)	(Icon)
الممثل	(Représentament)
موضوع	(Objet)
المؤول	(Interprétant)

ـ هـ ـ

الهرمينوطيقا	(Hurmèneutique)

ثبت

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، رواية ورش.

1- ابن سينا: العبارة، تح: محمود الخضيري، (د.رط)؛ 1970، (د.د)، القاهرة - مصر.

2- ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (د.رط)، 1423 هـ/2002 م، دار اتحاد الكتاب العرب، (د.م)، ج2.

3- ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون،(د.رط)، (د.ت)، دار المعارف، القاهرة، مج 3، ج 24 - / ج12، مجلد 2.

4- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، (د.رط)، (د.ت)، دار العلم والثقافة، القاهرة.

5- أحمد طالب: المنهج السيميائي (من النظرية إلى التطبيق) (د.رط)، (د.ت) دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.م).

6- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ط5)؛ 1998، عالم الكتب، مصر - القاهرة.

7- أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، (ط2)؛ 2001، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان.

8- أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، (ط1)؛ 2005، منشورات الاختلاف، الجزائر.

9- القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المحايثة)، (ط1)؛ 2003، منشورات الاختلاف، الجزائر.

10- بطرس البستاني: محيط المحيط؛ (د.رط)؛ 1987، مكتبة لبنان، بيروت.

11- جهاد فاضل: أسئلة النقد (حوارات مع النقاد العرب)، (د.رط)، (د.ت)، الدار العربية للكتاب، (د.م).

12- حبيب مونسي: فعل القراءة (النشأة والتحول)- مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض،(د.رط)؛2002، منشورات دار الغرب، وهران - الجزائر.

13- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط3)؛ 2008، الدار العربية للكتاب، تونس.

14- رحيم يونس كرو العزاوي: مقدمة في منهج البحث العلمي، (ط1)؛ 2008، دار دجلة، عمان - الأردن.

15- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائيات السردية (د.رط)؛ 2000، دار القصبة للنشر، الجزائر.

16- الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، (د.رط)، (د.ت)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج2.

17- سعيد بنكراد: سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، (ط1)؛ 1433هـ - 2012 م، دار الأمان، الرباط - المغرب.

18 _ السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، (د.رط)؛ 2003، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب.

19- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (ط1)؛ 1405هـ-1985م، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان.

20- سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي،(د.رط)، 2009، دار سحر للنشر- تونس.

21- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، (د.رط)، 1985 م، مكتبة لبنان – بيروت.

22- صلاح فضل: شفرات النص (دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد)، (ط2)؛ 1995، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م).

23 – عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة)، (ط2)؛ 1994، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

24- عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي- دراسة من حكايات "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، (د.رط)؛2003، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران – الجزائر.

25- عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة (تحليل سيمائي تفكيكي لحكاية " حمال بغداد")، (د.رط)، 1993، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

26 _ ألف-ياء (تحليل مركب لقصيدة-أين ليلاي-لمحمد العيد)، (د.رط)، دار الغرب للنشر والتوزيع 2003، وهران – الجزائر.

27 _ تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية " زقاق المدق " لنجيب محفوظ)، (د.رط)، 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.م).

28 _ التحليل السيمائي للخطاب الشعري (تحليل مستوياتي لقصيدة " شناشيل ابنة الجلبي")، (د.رط)،2001، دار الكتاب العربي، الجزائر

29 _ شعرية القصيدة – قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية)(د.رط)، 1994، دار المنتخب العربي، بيروت – لبنان.

30 _في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، (د.رط) (د.ت)،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر.

31 _ النّص الأدبي من أين وإلى أين، (د.رط)،1983، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

32 _ نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية) (د.رط)، 2003، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر.

33 _ نظرية النص الأدبي، (ط2)؛ 2010م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

34 _نظام الخطاب القرآني (تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمن)، (د.رط)، (د.ت)، دار هومه، الجزائر.

35- عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب (من أجل تصور شامل)، (ط1)؛ 1431هـ-2010م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان.

36- عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر،(د.رط)؛ 2003، دار فرحة للنشر والتوزيع، (د.م).

37- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، (ط1)، 1424هـ- 2003م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ج1.

38- عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تح: عبد الرزاق المهدي،(د.رط)، 1432هـ_2011م، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، مج: 6 .

39 _ عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، (د.رط)، (د.ت)، دار الفكر، (د.م)، ج1.

40 _ الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون (ط2)؛ 1374هـ- 1965م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج1.

41- الفيروزبادي: القاموس المحيط، (ط3)؛ 1351هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت – لبنان، ج2.

42- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، (ط1)، 1431هـ- 2010م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان.

43- محاضرات الملتقى الوطني الأول للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)، 2000 منشورات جامعة محمد خيضر – بسكرة–الجزائر.

44- محاضرات الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)، 2002م، منشورات جامعة محمد خيضر – بسكرة- الجزائر.

45- محاضرات الملتقى الدولي الثالث للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط) 2004، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر.

46 _ محاضرات الملتقى الوطني الرابع للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)، 2006، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر.

47- محاضرات الملتقى الوطني السادس للسيمياء والنص الأدبي، (د.رط)، 2011، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر.

48 محمد أركون الفكر الإسلامي (قراءة علمية) تر: هاشم صالح، (ط1)؛ 1987، دار الإنماء القومي، بيروت–لبنان.

49– مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح) (د.ت)؛ 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

50– محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، (ط1)؛ 1996، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ج1.

51– محمد العيد آل خليفة: الديوان، (د.رط)؛ 2010، دار الهدى، الجزائر.

52– محمد الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، تح: محي الدين صبري الكردي، (ط2)، (د.ت)، المطبعة العربية بمصر.

53– محمد الماكري: الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، (ط1)؛ 1991، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب.

54– محمد مفتاح: (تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص–)، (ط3)؛ 1992، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب.

55 _ (دينامية النص – تنظير وإنجاز–)، (ط3)؛ 2006، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء – المغرب.

56 _في سيمياء الشعر القديم (دراسة نظرية وتطبيقية)، (د.رط)، 1989، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء – المغرب.

57– نجيب محفوظ، زقاق المدق، (ط1)؛ 1972، دار القلم، بيروت– لبنان.

58- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (ط1)؛2008، منشورات الاختلاف، الجزائر.

59 _الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض (بحث في المنهج وإشكالياته)، (د.رط)؛ 2002، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.

60 _النقد الجزائري المعاصر (من اللانسونية إلى الألسنية) (د.رط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.

61 _ في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية)، (ط2)؛2012،دار جسور للنشر والتّوزيع، الجزائر.

_ كتب المترجمة:

62- أمبرتو إيكو: العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، تر: سعيد بن كراد، (ط2)؛ 2010م، المركز الثقافي العربي، المغرب – الدار البيضاء.

63- آن إينو وآخرون: السيميائية (الأصول، القواعد، والتاريخ)، تر: رشيد بن مالك، (ط1)، 1428هـ- 2008م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

64- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، (د.رط)، منشورات عويدات بيروت، مج 2/(ط2)؛ 2001، منشورات عويدات، بيروت – لبنان، مج 2.

65- برنار فاليت: الرواية – مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، تر: عبد الحميد بورايو، (د.رط)؛ 2002، دار الحكمة، الجزائر.

66- برونوين ماتن وفليزيتاس رينجهام: معجم مصطلحات السيميوطيقا، تر: عابد خزندار، (ط1)؛ 2008م، المركز القومي للترجمة.

67- جان كلود كوكي: السيميائية (مدرسة باريس)، تر: رشيد بن مالك، (ط1)؛ 2003، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر.

68- جان ماري سشايفر: العلاماتية، مقال ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، (ط1)؛ 2004، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب.

69- رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، تر: محمد البكري، (ط2)؛ 1987، دار اللاذقية للنشر والتوزيع، سورية.

70- فاديم روزين: التفكير والإبداع، تر: نزار عيون السود، (د.رط)، 2011، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق-سورية.

71- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني،(د.رط)؛ 2008، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب.

_ مجلات وجرائد:

72- الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة – الجزائر، ع 6، ماي 2007 / ع11، فيفري 2007، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة – الجزائر.

73- جريدة "سمات" الدولية، مج 2، جانفي 2014 جامعة البحرين / مج1، العدد 45-55 ماي (2013)، جامعة البحرين.

74- عبد الملك مرتاض: (تحليل النص الشعري: بأيّ إجراء؟) مقال قيد النشر، كتب بتاريخ 2014/9/23

75- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع 5، أفريل 2014، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي بتامنراست – الجزائر.

76- مجلة التبيين، ع 13 – 14، 1998، الجزائر.

77- مجلة التراث العربي، ع91؛ 1424هـ/2003م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سورية.

78- مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 28، ع1، 2006، اللاذقية-سورية.

79- مجلة جامعة دمشق، مج 18، ع 2، 2002 / مج 25، ع1و2، 2009، سورية.

80- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، ع2، صيف 1389 هـ-2010م.

81- مجلة علامات، الجزء 15، المجلد 14، 1994، جدة – السعودية.

82- مجلة علامات، ع 26، 2006، مكناس – المغرب.

83- مجلة علوم اللسان، ع1، مخبر علوم اللسان بكلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط-الجزائر.

84- مجلة قراءات، ع2، 2010، مخبر وحدة التكوين في نظرية القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة – الجزائر.

85 – مجلة اللغة والأدب، ع 13،1998، / ع 15، أفريل 2001، جامعة الجزائر.

86- مجلة المنهل، ع 517، المجلد 56، 1994، السعودية.

87- مجلة الموقف الأدبي، ع 365، أيلول 2001 م، دمشق، سورية.

88- مجلة نزوى، ع12 أكتوبر 1997، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، الأردن.

_مذكرات:

89- كمال جدي: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف العيد جلولي، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، 2012/2011.

_مواقع إلكترونية:

90- الأكاديمية الجزائرية للترجمة: http://atadz.net/2014/05/11

91- البريد الإلكتروني للأستاذ الدكتور الشريف مريبعي mercherif@yahoo.fr

92- حوار علي ملاحي مع عبد الحميد بورايو، بتاريخ: 2010/2/25، www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=32501

93- **السيرة الذاتية لعبد الحميد بورايو: (مراسلة عبر البريد الإلكتروني):** bourayou50@yahoo.fr

94- **السيرة الذاتية لعبد الملك مرتاض: (مراسلة عبر البريد الإلكتروني):** mortadabdelmalek@gmail.com

95- صحيفة الأمة العربية (يومية إخبارية جزائرية مستقلة)، 9/5/2009: -http://www.djazairess.com/eloumma/2643

96- مجلة الرافد الإلكترونية: http://arrafid.ae/189-p21.html

97- موقع سعيد بنكراد www.saidbengrad.net

98- laghtiri1965.arabblogs.com/archive/2010/11/1292685.html

99- www.arabrenewal.info

100- http://www.dhifaaf.com

101- alirtikaa.mummygallery.com

102 - www.almaany.com

103 _ Ar.wikipedia.org

فهرس

الموضوعـــــات

الرقم	المحتوى	الصفحة
.1	البسملة	
.2	الإهداء	
.3	الشكر والعرفان	
.4	مقدمة	أ
.5	المدخل (قراءة في منظومة المصطلح ومدونة المفهوم)	10
.6	الفصل الأول: النظرية السيميائية وتطبيقاتها.	19
.7	1- النظرية السيميائية: (الأصول، المبادئ، الاتجاهات والأدوات النقدية)	20
.8	1.1- أصولها ومبادئها	20
.9	أ- الأصول	20
.10	ب- مبادئها	29
.11	• التحليل المحايث	29
.12	• التحليل البنيوي	30
.13	• تحليل الخطاب	30
.14	2.1- اتجاهاتها وأدواتها النقدية	31

.15	أ- اتجاهاتها المعاصرة	31
.16	• سيمياء التواصل	31
.17	• سيمياء الدلالة	32
.18	• سيمياء الثقافة	33
.19	ب- أدواتها النقدية	34
.20	- مرحلة التحليل الأفقي	36
.21	• البنية الصوتية	36
.22	• البنية الصرفية	36
.23	• البنية التركيبية	36
.24	• البنية الدلالية	37
.25	• البنية الموسيقية	37
.26	- مرحلة التحليل العمودي	37
.27	2- تمثل النظرية السيميائية عند العرب	39
.28	1.2- إرهاصاتها الأولى في النقد العربي القديم	39
.29	• مفهوم العلامة في التراث	40
.30	• طبيعة العلامة	42

.31	• أنواع العلامة	44
.32	2.2- النظرية السيميائية في النقد العربي الحديث	48
.33	• المؤسسات والمخابر الجامعية	49
.34	• المجلات	50
.35	• الترجمة	50
.36	• التأليف	53
.37	الفصل الثاني: التفكير النقدي السيميائي في الجزائر وتطبيقاته	58
.38	1- البدايات والرواد	60
.39	2 – المؤثرات	65
.40	3- الاتجاهات السيميائية المعتمدة	68
.41	- السيميائيات الشكلانية (مدرسة باريس)	68
.42	- سيميائيات (بيرس)	71
.43	4- أبرز الجهود النظرية والتطبيقية	73
.44	أ- خطاب التأسيس والتنظير	74
.45	ب- خطاب الترجمة والتعريب	78
.46	ج- خطاب الممارسة التطبيقية	82

.47	د- المؤسسات والمخابر الجامعية والمجلات	89
.48	الفصل الثالث: الجهود السيميائية عند عبد الملك مرتاض	91
.49	1- الجانب النظري	92
.50	1.1- التكوين المعرفي للناقد "الأستاذ الدكتور (عبد الملك مرتاض)"	92
.51	أ- حياته وتعلمه	92
.52	ب- أهم المناصب التي تقلدها وإسهاماته	93
.53	ج- روافد تكوينه	96
.54	• الروافد التراثية	96
.55	• الروافد الحداثية	98
.56	- مصادره السيميائية الحداثية	99
.57	أ- التيار السيميولوجي الذي تزعمه (دي سوسير) وبعض تلامذته	100
.58	ب- سيميوطيقا (بيرس)	101
.59	ج- السيميائيات الغريماسية	101
.60	2.1 - التنظير السيميائي عنده	102
.61	أ- السيميائيات من خلال كتبه النظرية	104
.62	ب- المقدمات المنهجية لكتبه التطبيقية (منهجه)	111

.63	ج- جهوده في الترجمة وتعريب المصطلح السيميائي	116
.64	2- الجانب التطبيقي: (القراءة السيميائية المرتاضية وخصائصها في النص والخطاب)	122
.65	1.2- القرآن الكريم: (قراءة في كتاب " نظام الخطاب القرآني)	122
.66	• في تأويلية بعض المشكل في نص (سورة الرحمن)	125
.67	• الزمن القرآني	128
.68	• الحيّز القرآني	130
.69	• التشاكل والتباين	132
.70	• نظام النّسج الخطابي	134
.71	• البنية الإيقاعية	136
.72	- الإيقاع الخارجي	136
.73	- الإيقاع الداخلي	137
.74	2.2- الشعر: (قراءة في كتاب ألف - ياء)	138
.75	• بنية القصيدة لدى محمد العيد	141
.76	• بنية اللغة في نص (أين ليلاي؟)	142
.77	أ- إطلالة سيميائية على النص	142

.78	ب- بنية اللغة	144
.79	ج- المعجم الفني للغة في النص	145
.80	• نص (أين ليلاي) بين المخاض وتمثل المخاض	146
.81	أ- تأويل الرمز في القصيدة	146
.82	ب- جو النص	147
.83	• الحنّين الشعري	148
.84	• الزّمن الشّعري	150
.85	• جمالية الإيقاع	153
.86	- الإيقاع التركيبي	153
.87	_الإيقاع الداخلي	154
.88	- الإيقاع الخارجي	154
.89	- تأويل الإيقاع في النص	155
.90	3.2- النثر: (قراءة في كتاب: تحليل الخطاب السّردي)	156
.91	أ - البنى السّردية في (زقاق المدق)	159
.92	ب -التّقنيات السردية	163
.93	• الشّخصية: البناء والوظائف	163

.94	• تقنيات السرد	166
.95	• الزمان والمكان	170
.96	• خصائص الخطاب السردي	171
.97	– خصائص أسلوبية	171
.98	– خصائص سيميائية	172
.99	الخاتمة	176
.100	ملحق	189
.101	ثبت المصطلحات الأجنبية	191
.102	ثبت المصادر والمراجع	195
.103	فهرس الموضوعات	207

الملخص:

إنّ نقطة الارتكاز الأساسية في هذا البحث تتمثل في استجلاء طبيعة التفكير السّيميائي وخصائصه لدى (عبد الملك مرتاض)، من خلال مدونته النقدية السيميائية النظرية والتطبيقية، وموقعها من الدرس السّيميائي الجزائري.

لذلك عني هذا البحث بدراسة المؤثرات التي كانت من وراء جعل النقد الجزائري المعاصر سيميائياً في أغلب نماذجه، و الاتجاهات السّيميائية الرئيسية التي اعتمدها النقّاد الجزائريون، وأين وصلت أبرز جهودهم النظرية والتطبيقية، ومحلّها من الدّرس السيميائي العربي، وكذا معوقات البحث السيميائي في الجزائر وآفاقه. ومحل تنزُّل جهود (عبد الملك مرتاض) السيميائية من النقد الجزائري المعاصر، فضلاً عن مصادر تكوينه المعرفي والسّيميائي، ونقطة ارتكاز جهوده السّيميائية التنظيرية، وطبيعة المنهج في أعماله السّيميائية التطبيقية، وكذا خصائص التّحليل السّيميائي عنده عموماً ، ثم من خلال النماذج الثلاثة المدروسة خصوصاً : (نظام الخطاب القرآني، ألف_ ياء، وتحليل الخطاب السردي).